دراسات لغوية

كتاب الجمل في النحو

المنسوب للخليل بن أحمد

دراسة تحليلية

دكتور
محمد إبراهيم عبادة
أستاذ الدراسات اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة بنها

Bibliotheca Alexandrina
0174291

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

دراسات لغوية

كتاب الجمل في النحو

المنسوب للخليل بن أحمد

دراسة تحليلية

دكتور
محمد إبراهيم عبادة
أستاذ الدراسات اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة بنها

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

مقدمة

طبع كتاب بعنوان الجمل فى النحو للخليل بن أحمد قام بتحقيقه الدكتور فخر الدين قباوة سنة ١٩٨٥ نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت ، ولم يشأ محقق الكتاب أن يجزم بصحة نسبة الكتاب إلى الخليل أو أن ينفيها عنه . واكتفى بقوله فى المقدمة : « أما بعد فهذا كتاب الجمل فى النحو المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥) أضعه بين أيدى العلماء والباحثين ليكون مادة للدراسة والتوثيق ، والتحقيق . ولسوف يثير — فيما أرى — أمواجا مختلفة أو متناقضة ، من الآراء ، والتوجيهات ، والنقد ، والتقويم ، تساهم فى توضيح معالمه وتسديد منعطفاته وحل مشكلاته »[١] . وعبر المحقق عن حيرته أمام المادة العلمية فى تقسيمها ، وعرضها ، وشواهدها ، وتفصيلها ، وإجمالها ، ولكنى أشعر بعد قراءة المقدمة أنه أميل إلى صحة نسبة الكتاب للخليل بن أحمد[٢] .

وقد كنت دائما أسأل نفسى كيف كان التأليف فى النحو قبل كتاب سيبويه ، وقد عشت معه فى كتابه زهاء ربع قرن دارسا ، وباحثا ، ومازلت أفكر كيف خرج كتاب سيبويه عملاقا فى مادته وتقسيمه وعرض شواهده وبسط مسائله . مما لاشك فيه أنه سبق بمصنفات مختصرة أو مطولة ولكن لم يصل إلينا منها شيء إلا « مقدمة فى النحو » منسوبة إلى خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وإنه لمن الظلم البين أن يستقر فى الأذهان أن المعنيين بالنحو أحجموا عن التصنيف فيه ماعدا عيسى بن عمر الذى نسب إليه كتابا الجامع والإكمال[٣] . ويقول محمد بن يزيد قرأت أوراقا من أحد كتابى عيسى بن عمر فكان كالإشارة إلى الأصول[٤] فى الوقت الذى كان فيه التصنيف فى القراءات كما أشارت كتب

---

(١) الجمل : ٥

(٢) انظر المرجع السابق : ٦ ، ٧

(٣) انظر أخبار النحويين البصريين : ٤٩

(٤) انظر مراتب النحويين : ٤٦

التراجم ومن ذلك كتاب القراءات لزائدة بن قدامة الثقفي (ت ٩١ هـ)[٥] ، وكتاب في القراءات ليحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) جمع فيه ماروى من اختلاف الناس فيما وافق الخط[٦] ، وكتاب معانى القرآن وكتاب القراءات لأبان بن تغلب الكوفى (ت ١٤١ هـ)[٧] ، وكتاب القراءات لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)[٨] ، وكتاب القراءات لأبى عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ هـ)[٩] وكتاب الفرائض وكتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لحمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة (ت ١٥٦ هـ) [١٠] ، وجاء فى بغية الوعاة[١١] عن الأخفش الأكبر (ت ١٧٧ هـ) أنه أول من فسر الشعر تحت كل بيت وماكان الناس يعرفون ذلك قبله وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها ، وأعتقد أن ذلك ماكان إلا فى كتاب مصنف .

فهل حال بيننا وبين مصنفات النحويين من أشياخ سيبويه انبهار تلاميذه وحوارييه بكتابه فأخذ بريقه بأبصارهم ، وصرفهم عن كل المحاولات التى سبقته ، فتطامنت تلك المصنفات ومن بينها كتاب الجمل للخليل ، وتنحت عن حيد الطريق ، وتوارت تحت ركام مصنفات النحو التى أعقبت كتاب سيبويه شرحا له ونقدا ؟ أو شد كتاب العين للخليل بن أحمد العيون واستولى على الفكر وكثر حوله الجدل فتضاءل كتاب الجمل أمام معجم العين شأنه فى ذلك شأن مانسب إلى الخليل من مصنفات ، وضاع فى الزحام ؟

وقد يحتفظ الزمان ببقية أو أثر من الآثار دون تحلل ، وإذا ماأزحنا عن هذا الأثر غبار الزمان وجلوناه فقد نستطيع أن نتعرفه ونرده إلى عصره وننسبه إلى صاحبه ، ويعد هذا العمل مرحلة من مراحل البحث عن الحقيقة صيانة للتراث

(٥) انظر الفهرست : ٢٨٢ تحقيق رضا تجدد . طهران .
(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١ : ٦٧ .
(٧) انظر الفهرست : ٢٧٦
(٨) انظر السابق : ٢٢٧
(٩) انظر السابق : ٣٨
(١٠) انظر السابق : ٣٢ ، ٣٩
(١١) بغية الوعاة : ٢ : ٧٤

الفكرى . ولذلك عزمت على أن أكون من نشاد الحقيقة مجردا نفسى من أى حكم يسبق الدرس محاولا بهذه الدراسة الكشف ـــ بجهدى المحدود ـــ عن نسبة هذا الكتاب فى ضوء كتاب العين وكتاب سيبويه ومعانى القرآن للفراء ومجاز القرآن لأبى عبيدة والمقتضب للمبرد وغيرها من كتب النحو واللغة إلى القرن الرابع حيث كانت وفاة ابن شقير فى مطالعه وهو الطرف الثانى فى تنازع هذا الكتاب .

وتتمثل هذه الدراسة فى أربعة فصول : الفصل الأول ألقيت فيه نظرة عامة على كتاب الجمل المنسوب للخليل ، وفى الفصل الثانى تناولت آراء الخليل المنسوبة إليه فى ضوء هذا الكتاب ، وفى الفصل الثالث تناولت بالدرس العنوانات والمصطلحات الواردة بالكتاب ، وفى الفصل الرابع تناولت الشواهد من القرآن والحديث والشعر والأمثلة التى تضمنها الكتاب ثم ختمت الدراسة ببيان الحصاد .

وآمل أن أكون بهذا العمل قد أنجزت مرحلة مكملة للمرحلة التى بدأها محقق الكتاب . وأن يكون هذا اللون من الدرس قد ألقى ضوءا أبرز ملامح المصنف والعصر الذى ينتمى إليه .

وبالله التوفيق ،

الاسكندرية : ١٦ /٧/ ١٩٨٧ — محمد إبراهيم عبادة

الفصـل الأول

نظـرة عامـة
فـى كتـاب الجمـل

انطلق مصنف هذا الكتاب من مسلمة فى نظر القدماء تقول : إن جميع النحو فى الرفع والنصب والجر والجزم ، وإن معرفة مواضع الرفع والنصب والجر والجزم وعلامات كل منها هى معرفة النحو ، وقد حرص المصنف على توضيح ذلك فى مقدمة كتابه بقوله : « هذا كتاب فيه جملة الإعراب إذ كان جميع النحو فى الرفع والنصب والجر والجزم ، وقد ألفنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والجر والجزم ، وجمل الألفات ، واللامات ، والهاءات ، والتاءات ، والواوات ، ومايجرى من اللام ألفات ، وبينا كل معنى فى بابه باحتجاج من القرآن وشواهد من الشعر ، فمن عرف هذه الوجوه بعد نظره فيما صنفناه من مختصر النحو قبل هذا استغنى عن كثير من كتب النحو »[1] .

وبدأ المصنف ببيان وجوه النصب لأنها أكثر الإعراب طرقا ووجوها ، وذكر أنها واحد وخمسون وجها عرضها مجملة ثم فصلها ، ثم انتقل إلى بيان وجوه الرفع وذكر أنها اثنان وعشرون وجها ، وعرضها مجملة ثم ذكر علامات الرفع وهى عنده ستة أشياء : الضمة ، والواو ، والفتحة ، والألف ، والنون ، والسكون[2] ، ثم ذكر وجوه الرفع منفصلة ، ثم انتقل إلى بيان وتفسير وجوه الخفض فذكر أنها تسعة وجوه عرضها مجملة ، وبين أن علامة الخفض ثلاثة هى الكسرة والياء والفتحة ، ثم ذكر وجوه الخفض بتفصيل ، ثم انتقل إلى بيان وتفسير إعراب جمل الجزم — على حد قوله — فبين أن للجزم اثنى عشر وجها ، وذكر علامات الجزم وهى خمسة : السكون ، والضمة ، والكسرة ، والفتحة ، وإسقاط النون ، ثم ذكر وجوه الجزم مفصلة .

وبهذا ينتهى مايمكن أن نسميه القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثانى — فى نظرنا — فقد جعله لبيان بعض الحروف وبيان وظائفها المتعددة فى التراكيب المختلفة فتناول جمل الألفات وهى ثلاثة وعشرون ، ثم جمل اللامات وهى إحدى وثلاثون ثم جمل الهاءات وهى اثنتا عشرة ، ثم جمل التاءات وهى خمس عشرة ، ثم جمل الواوات وهى ثلاثة عشرة ، ثم جمل اللام ألفات وهى اثنتا عشرة ، ثم

(١) الجمل فى النحو للخليل : ٣٣

(٢) السابق : ١١٧

اختلاف معانى ما وهى عشرة معان ، ثم تفسير الفاءات وهى سبع ، ثم تفسير النونات وهى عشر ، ثم تفسير الباءات وهى أربع ، ثم تفسير الياءات وهى تسع . ثم ختم الكتاب بفصل فى « رويد » وفصل فى الفرق بين « أم » و « أو » .

فالمصنف فى القسم الأول أراد أن يبين المواضع التى يرد فيها الاسم منصوبا ، والمواضع التى يرد فيها الفعل منصوبا ، وأن يبين المواضع التى يرد فيها الاسم مرفوعا ، والمواضع التى يرد فيها الفعل مرفوعا ، وأن يبين المواضع التى يرد الاسم فيها مجرورا ، والمواضع التى يرد فيها الفعل مجزوما من غير أن يضع ذلك فى أبواب ، ومن غير أن يعرض لعوامل الرفع والنصب والجرّ والجزم .

وضمن المصنف هذا الإطار العام كثيرا من المسائل النحوية والصرفية مثل : الفصل بالنعت بين اسم إن وخبرها[٣] ، والعطف على اسم إن وأخواتها بعد استكمال الخبر[٤] ، زيادة كان[٥] ، ضمير الفصل[٦] ، المجرور بالمجاورة[٧] ، إلحاق تاء التأنيث بالفعل[٨] ، استعمال حسب وكفى[٩] ، استعمال مذ ومنذ[١٠] ، التأكيد بالنون فى غير القسم[١١] ، أصل « الذى »[١٢] ، تركيب « ماذا »[١٣] ، أصل « أب » و « أخ » و « فم » و « دم »[١٤] ، اجتماع همزة الاستفهام مع همزة القطع[١٥] ، اللغات فى « هو »[١٦] ، الوقف على الهاء بالتاء[١٧] ، تركيب « اللهم »[١٨] ، أصل « لبيك »[١٩] ، حكم المضعف المجزوم[٢٠] .

---

(٣) انظر · ١٢٨
(٤) انظر : ١٢٨
(٥) انظر : ١٢٤
(٦) انظر : ١٦٧
(٧) انظر . ١٧٣ ، ١٧٤
(٨) انظر ٢٧٦ .
(٩) انظر ٨٩
(١٠) انظر · ١٣٥ ، ١٣٦
(١١) انظر ١٩١
(١٢) انظر · ١٦١
(١٣) انظر ١٥٩
(١٤) انظر . ٢١٩
(١٥) انظر ٢٣١ ، ٢٤٦
(١٦) انظر . ١٦٧
(١٧) انظر ٢٧٢
(١٨) انظر ١١٠
(١٩) انظر ١٥٣
(٢٠) انظر ١٩٦

كما تضمن الكتاب ثمانيا وستين وثلاثمائة آية من القرآن الكريم مع توجيه القراءات ، وأربعة عشر وأربعمائة شاهد من الشعر . وحديثا واحداً هو : « لتأخذوا مصافكم »[٢١] .

ونلاحظ أن المصنف لايفرق بين علامات إعراب أصلية وعلامات فرعية ، ولابين الإعراب الظاهر والإعراب المقدر فالفتحة علامة لرفع المثنى فى قولنا: « عبدا الله » ، والسكون علامة لرفع الفعل المضارع فى مثل : « يرمى ويغزو »[٢٢] ، والفتحة علامة للجزم والفتحة علامة للجزم فى مثل : « لم يرضَ »[٢٣] ، والضمة علامة للجزم فى مثل : « لم يَفُزْ » والكسرة علامة للجزم فى مثل : « لم يرمِ »[٢٤] . وهذه العلامات لم ترد فى غير هذا الكتاب على ماأعلم .

وإذا تأملنا تناول المصنف للحروف نجده يخص حديثه بأحد عشر حرفا هى : الألف ، واللام ، والهاء ، والتاء ، والواو ، ولا ، وما ، والفاء ، والنون ، والباء ، والياء ، ويبين استعمال هذه الحروف ودلالتها الصرفية والنحوية وعملها إن كانت عاملة مستشهدا بالقرآن والشعر . ونلاحظ أن كل هذه الحروف مفردة باستثناء « لا » و « ما » . وأثناء حديثه عن « لا » يعرض لاستعمال « إلا » للاستثناء ، والتحقيق ، وبمعنى الواو ، وبمعنى غير ، وبمعنى لكنْ ، وأثناء حديثه عن « ما » يعرض لاستعمال « أمَّا » . وهو بذلك لم يقسم الحروف إلى أحادية وثنائية ، وثلاثية ، ورباعية كما فعل سيبويه ، ومن بعده الرمانى فى كتابه معانى الحروف ، ولم يفرق بين العوامل والهوامل .

ولاتظهر التعريفات فى هذا الكتاب إلا فى موضعين الأول فى قوله : « وحد التعجب مايجده الإنسان من نفسه ، عند خروج الشيء من عادته »[٢٥] ، والثانى قوله : ومعنى الإغراء الزم واحفظ »[٢٦] ، فإن عددنا ذلك تجاوزا من قبيل

(٢١) انظر . ٢٥٠

(٢٢) انظر : ١١٧

(٢٣) انظر : ١٩٠

(٢٤) انظر : ١٩٠

(٢٥) الجمل : ٤٩

(٢٦) الجمل . ٥٥

التعريفات فهى تعريفات لم تأخذ الطابع الاصطلاحى .

وقد عنى المصنف ببيان معانى بعض المفردات أو بذكر اشتقاقها وحكمها من مد وقصر فيما يسوق من آيات وأبيات وعبارات ومن ذلك قوله : « رفع النقرس لأنه أراد : أنا النقرسُ . وهو : العالم . ويقال رجل نقريس نطيس »[٢٧] . وقوله : « ويرخم ثمود : ثَمُو ... وهو مأخوذ من الثمد وهو مستنقع الماء[٢٨] . وقوله : يُقَال : أمَّ فُلاَن ، إذا شُجَّ رأسه حتى تبلغ الشجة أمّ الدماغ »[٢٩] . وقوله : « والحافرة : الطريق الذى ذهبت فيه . يقال : رجع على حافرته »[٣٠] . وقوله : الزناء يمدُّ ويقصر . والبكاء أيضا »[٣١] . وقوله : « والكمى : الفارس الشجاع ، والمقنع : الذى يقنع بالسلاح ، أى لبس الحديد »[٣٢] . وقوله : والمسحت : المهلك ، والمجلِّف : المستأصل . من قول الله جل وعز: (فيسحتكم بعذاب) أى يهلككم »[٣٣] ، وقوله : « معنى ينفقون الفعو . وهو فضلة المال . وكذلك عفو الماء ، والقدر وغير ذلك فضلته[٣٤] . وقوله : « يحكى عن أم تأبط شرا حين ذكرت ابنها تأبط شرا فقالت : « والله ماحملته تضعا ، ولاوضعته يتنا ، ولاأرضعته غيلا ، ولاأبتّه على مأقة » . قولها ماحملته تضعا أى : ماحملته وأنا حائض . وأصله وُضْعًا . واليَتْنُ : أن تخرج رجل المولود قبل رأسه وهو عيب . ولاأرضعته غيلا ، والغَيل أن ترضع المرأة ولدها وهى حبلى . ولا أبتّه على مأقة أى لم ينم الصبى وهو ممتلىء غيظا وبكاء »[٣٥] .

وقد يعنى المصنف بإعراب بعض الجمل وتوجيه التراكيب ومن ذلك : « نقول : حسب زيد وعمرو درهمان ، وحسب عبد الله وأخيك ثوبان . رفعت

---

(٢٧) الجمل : ١٣١

(٢٨) الجمل : ١٣٨

(٢٩) الجمل : ١٧٧

(٣٠) الجمل : ١٨٩

(٣١) الجمل : ٥١

(٣٢) الجمل : ١٠٢

(٣٣) الجمل : ١٤٦

(٣٤) الجمل : ١٦٠

(٣٥) الجمل : ٢٨٢ ، ٢٨٣

حسب على الابتداء وثوبان خبر الابتداء ، فإذا كنيت الاسم الأول ، وعطفت عليه باسم ظاهر ، نصبت الاسم الظاهر تقول : حسبك وعبدَ الله درهمان وحسبه ومحمداً ثوبان . معناه : حسبك وكفى عبد الله درهمان »[٣٦] .

وقوله : « تقول : رأيت زيداً ، أخاه قائما . نصبت زيداً بـ « رأيت » ونصبت أخاه بالبدل . ولو رفعته على الابتداء كان جائزا »[٣٧] .

وقوله : بصر عينى زيد قائم ، رفعت « زيداً » ، لأنه اسم مبتدأ ، ورفعت « قائما » لأنه خبره . وأردت به : زيدٌ قائم ببصر عينى . ونصبت « بصر عينى » « بفقدان الخافض »[٣٨] .

وقوله : ويقال : كان القوم صحيح أبوهم ، وأصبح القوم صحيح ومريض . والوجه صحيحا ومريضا . النصب على خبر « كان » والرفع على معنى : منهم صحيح ، ومنهم مريض »[٣٩] .

وقوله : « وتقول : ان تزرنى وتكرمنى أزرْك وأكرمْك ، وهذا الفعل الذى أدخلت عليه الواو يرفع وينصب ويجزم . فمن جزم نسقه بالواو على الأول ، ومن نصب فعلى القطع من الكلام الأول ، ومن رفعَ فعلى الابتداء »[٤٠] .

والعلل النحوية التى تسود الكتاب علل قريبة المأخذ ومن نماذجها مايلى :

١ ــ قول المصنف تعليقا على قول الحارث بن ظالم :

فما قومى بثعلبة بن سعد ولابفزارة الشُّعْرِ الرقابا

« نصب الرقاب لإدخال الألف واللام على الشعر ، لأن الألف واللام يعاقبان التنوين والتنوين يعاقب الألف واللام »[٤١] .

---

(٣٦) الجمل : ٩٠
(٣٧) الجمل : ١٠١
(٣٨) الجمل : ١١٤
(٣٩) الجمل : ١٢٢
(٤٠) الجمل . ١٩٥
(٤١) الجمل : ٧٢

٢ ــ وقوله : « رفع لعمرُك لأنه شبه لام الخبر كقوله جل ذكره إن الإنسان لربه لكنود »[٤٢] وربما أطلق بعض النحويين على مثل هذه العلة علة الشبه[٤٣] .

٣ ــ تعليل نصب اسم إن ورفع خبرها بتشبيه إن وأخواتها بالفعل الذى يتعدى إلى المفعول . فيقول : « قولهم إن زيداً فى الدار شبهوه بالفعل الذى يتعدى إلى مفعول كقولهم ضرب زيدا عمرو ، وأخرج عمرا صالح »[٤٤] .

٤ ــ تعليل نصب خبر كان بأن الخبر يشبه المفعول به الذى تقدم فاعلُه . فيقول :

« وقولهم : « كان زيد قائما وهو فى التمثال بمنزلة المفعول به الذى تقدم فاعله مثل قولهم ضربَ عبد الله زيدا »[٤٥] .

٥ ــ ويعلل حذف الياء فى قوله تعالى (يوم يأت لاتكلمُ نفس إلا بإذنه)[٤٦] ، وفى قوله تعالى (يوم ينادِ المنادِ)[٤٧] وفى قوله تعالى (والليل إذا يسرِ)[٤٨] بقوله : « أسقط الياء استخفافا لها »[٤٩] .

٦ ــ وقد يعلل باضطرار الشاعر واحتياجه إلى القافية كما فى قول العجاج :

ورب هذا البلد المحرّم قواطناً مكةَ من ورق الحمىِ

يقول المصنف : « أراد الحمام وأسقط الميم التى هى حرف الإعراب فبقى الحما ، فقلبت الألف كسرة لاحتياجه إلى القافية اضطرارا »[٥٠] .

٧ ــ وقد يرى العلة أمن اللبس كما فى قوله عن حركة ألف الوصل فى فعل الأمر فيقول : وإذا كان ثالث حروفه مفتوحا كسروا الألف أيضا وألف الوصل

---

(٤٢) الجمل : ١٦٤ والآية من سورة العاديات آ : ٦

(٤٣) انظر الاقتراح للسيوطى : ٤٨

(٤٤) الجمل : ٤٥

(٤٥) الجمل : ٤٥

(٤٦) سورة هود آ : ١٠٥

(٤٧) سورة ق آ : ٤٩

(٤٨) سورة الفجر آ : ٤

(٤٩) الجمل : ٢١٢

(٥٠) الجمل : ٢١٣

مثل ألف اذهب ، وإنما فعلوا ذلك لئلا تشتبه ألف الوصل بألف النفس »[٥١] .

٨ ــ وقد يرى العلة تكمن فى الجانب الصوتى ومن ذلك :

أ ــ كراهية العرب النطق بهمزتين مع ضمة ، فيقول : فإذا أمرت من أخذ قلت خُذْ ، وكان الأصل فيه أؤخذ فكرهوا أن يجمعوا بين همزتين مع ضمة فحذفوهما »[٥٢] .

ب ــ ومن ذلك أنهم عافوا الجمع بين همزتين مثلين أى همزتى قطع . فيقول : « فمن ذلك قولهم : أأكرمت زيدا ؟ وإن شئت مددت فقلت : آكرمت زيداً ؟ بألف واحدة كأنهم عافوا أن يجمعوا بين همزتين مثلين فقلبوها مداً »[٥٣] .

ج ــ ومن ذلك التفرقة بين الواو والميم بمدة أو ألف لأن مخرج الواو والميم من مكان واحد . فيقول فى الحديث عن حركة ألف الوصل فى فعل الأمر : « وإذا بدىء بالواو فمنهم من يقول بالألف كما قال الله جل وعزّ فى « طه » : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك)[٥٤] ، وإنما فعلوا ذلك لأن الواو والميم مخرجهما من مكان واحد ففرقوا بينهما بمدة ، ومنهم من يقول بالألف »[٥٥] .

د ــ إذا تتابعت الحروف وهى من جنس واحد يجعل مكان الحرف الأخير أحرفا من غير ذلك الجنس فيقول : « وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفا من غير ذلك الجنس . ومن ذلك قول الله عز وجل : (قد خاب من دسَّاها)[٥٦] معناه دَسَّسَهَا .

(٥١) الجمل : ٢٢٣

(٥٢) الجمل : ٢٢٩

(٥٣) الجمل : ٢٣١

(٥٤) سورة طه آ : ١٣٢

(٥٥) الجمل : ٢٣٠

(٥٦) سورة الشمس آ : ١٠

ومثله قوله عز وجل : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى)[٥٧] أى يتمطط فتحولت السين ، والطاء ياء »[٥٨] .

هـ ـــ التخفيف على اللسان فى النطق فيقول : « وإنما دخلت التاء فى ستّة لأن السين والدال مخرجهما من مكان واحد فأبدلت التاء بالدال لتخف على اللسان فى النطق »[٥٩] .

و ـــ ومن ذلك تعليله لكلمة « مدّكر » فيقول : « (فهل من مدّكر)[٦٠] فأصله مذتكر اجتمع ذال وتاء ومخرجهما قريب من بعض فلما ازدحمتا فى المخرج أدغمت التاء فى الذال فأعقبت التشديد فتحولت دالا »[٦١] .

وهذه العلل الصوتية تشعر بأن المصنف ضالع فى ذوق الحروف ، ودرس مخارجها إلا أن ماأورده فى الحديث عن « ستة » وأصلها كان يحتاج إلى زيادة إيضاح فهو يرى أن الأصل « سدس » ولما كانت السين والدال مخرجهما من مكان واحد قلبت الدال تاء لتخف فى النطق وبذلك تؤول إلى سِتْس ، ولم يذكر المراحل التالية حتى آلت إلى « ست » وهذه الرؤية فى التحويل من سِدْس إلى « ست » تختلف عن رؤية سيبويه فهو يرى أن السين الأخيرة قلبت تاء[٦٢] ، ولكنهما متفقان فى أن العلة هنا التخفيف على الألسنة إذ العبارة التى أوردها المصنف « لتخف على ألسنتهم فى النطق » نجدها فى العنوان عند سيبويه فى قوله : هذا ماكان شاذا مما خففوا على ألسنتهم »[٦٣] .

وقد ورد فى هذا الكتاب أعلام بعض النحويين واللغويين والقراء ومن هؤلاء[٦٤]

(٥٧) سورة القيامة آ : ٣٣
(٥٨) الجمل . ٢٨١
(٥٩) الجمل : ٢٨٢
(٦٠) سورة القمر آ : ١٧
(٦١) الجمل : ٢٨٢ .
(٦٢) انظر كتاب سيبويه : ٤ : ٤٨١ ، ٤٨٢ تحقيق عبد السلام هارون .
(٦٣) كتاب سيبويه ٤ : ٤٨١
(٦٤) انظر الجمل : ٦١ ، ١١٥ ، ١٨٠ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ٢٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥

يونس ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والفَرَّاء وابن دريد وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عباس ، وعائشة ، كما وردت الكلمات الآتية : « النحويون » ، « الكوفيون » ، « البصريون » « المفسرون » ، « بعض أهل المعرفة » . ومن ذلك قول المصنف .

« وزعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح فى سورة النساء (والمقيمين الصلاة)(٦٥) ، (والصابرين فى السراء والضراء) »(٦٦)(٦٧) .

« والواو حشو على ماذكر سيبويه النحوى »(٦٨)

« ومن قرأ (تذكرة) بالرفع أراد : إلا أن تكون تذكرة . عن الفَرَّاء »(٦٩) .

« قال : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى :

لعمر أبيك ، الخير مارهط خندِف تدافعهم عنك الرماح المداعس(٧٠)

« وقد قرىء هذا الحرف ممدودا : (آنذرتهم) قرأه عاصم ، وأبو عمرو بهمزتين »(٧١)

« وأما قول الله تبارك وتعالى : (إن هذان لساحران) فقد ذكر عن ابن عباس أنه قال : إن الله تبارك اسمه أنزل القرآن بلغة كل حىّ من أحياء العرب ... »(٧٢) .

« وفى قراءة عائشة رضى الله عنها (إن هذين لساحران) »(٧٣) .

وذكر هذه الأعلام فى كتب النحو مألوف حرصا من المصنفين على نسبة الآراء إلى أصحابها ، وقد يفعل بعض الشراح أو النساخ والمريدين هذا عندما

(٦٥) سورة النساء آ : ١٦٢

(٦٦) سورة البقره آ : ١٧٧

(٦٧) الجمل : ٦١

(٦٨) الجمل : ٢٨٨

(٦٩) الجمل : ١٥٦

(٧٠) الجمل : ١٦٣

(٧١) الجمل : ٢٣١

(٧٢) الجمل : ١٣٢

(٧٣) الجمل : ١٣٥

يعكفون على إخراج كتب شيوخهم ، وقد يضيف بعض النساخ مايوضح الأصل أو يتمم فكرة أو مايؤيد هذا فيحدث هذا الصنيع شبهة فى نسبة الكتاب لصاحبه ، ولاسيما ذكر أعلام لم يعاصر أصحابها المصنف أو كانوا لاحقين له ، ومن ذلك ماورد بكتاب الجمل الذى يعد محور درسنا من ذكر لأبى بكر محمد ابن الحسن بن دريد . وقد سقنا النص منذ قليل إذ يقدح ذلك فى نسبة الكتاب للخليل ، ونعتقد أن ذلك من صنيع النساخ ويعزز ذلك عدم وجود هذه العبارة وبيت الشعر الذى يليها فى نسختين من النسخ الثلاث التى اعتمد عليها محقق الكتاب[٧٤] . وكذلك ماورد من ذكر للفرّاء ونسبة قراءة رفع (تذكرة) إليه ، وقد سقنا النص منذ قليل ، ويؤنسنا فى ذلك أننا لم نقف على قراءة الرفع فيما رجعنا إليه من مصادر فى القراءات[٧٥] .

أما ذكر « الخليل بن أحمد » و « سيبويه » فقد ورد ذكرهما فى كتاب العين ، ومن المألوف أن يذكر المصنف أو كنيته ، كما ورد ذكر « سيبويه » فى كتاب العين أيضا ومن ذلك : « قال سيبويه : وقد قالوا عقرته أى قلت له عقراً »[٧٦] ، و « قال سيبويه : الكراع الماء الذى يكرع فيه »[٧٧] .

وليس ببعيد أن يذكر الخليل بن أحمد رأيا لسيبويه ، فقد ذكر الزجاجى مجلسا للخليل بن أحمد مع سيبويه[٧٨] ونقله السيوطى فى الأشباه والنظائر النحوية[٧٩] ، ولم تذهب بعيدا وكتاب سيبويه يشهد بالحوار الدائر بين الشيخ وتلميذه فى غير موضع .

أما ذكر الكلمات الدالة على جماعة من النحويين أو غيرهم فهى قليلة ،

---

(٧٤) انظر الجمل : ١٦٣ الحاشية ١٠

(٧٥) بحثت عن القراءة فى «معانى القرآن للفراء» ومختصر الشواذ من القرآن لابن خالويه والمحتسب ، والسبعة والنشر والبحر المحيط وإتحاف فضلاء البشر فلم أقف عليها .

(٧٦) العين : ١ : ١٧٣

(٧٧) العين : ١ : ٢٧٧

(٧٨) انظر مجالس العلماء للزجاجى ٢٣١

(٧٩) انظر الأشباه والنظائر النحوية ٣ : ٦٦

وتتمثل فى قول المصنف : « غير أن النحويين جعلوه بابا »[٨٠] ، « من قال من النحويين إن الرفع جائز فقد لحن »[٨١] . « ذكر النحويون أن معناه ولاتمنن مستكثرا »[٨٢] . « وقال الكوفيون هذا لايقاس عليه »[٨٣] . « وقال البصريون لايذهب القياس بحرف واحد »[٨٤] ، « كما ذكر أهل النحو »[٨٥] . « فيما ذكر لى بعض أهل المعرفة »[٨٦] . « وقال بعضهم معناه : كونوا خير أمة ، وهو أصح مما فسره المفسرون »[٨٧] .

وأشعر أن ذكر هذه العبارات ينبغى ألا يقدح فى نسبة كتاب الجمل للخليل ، فقد ورد مثل ذلك فى كتاب « العين » ومن ذلك : « وأهل النحو يقولون »[٨٨] — « أصحاب التصريف »[٨٩] . و « قال بعض النحويين »[٩٠] ، « ولو حمله نحوى على القياس فذكر وأنث كان صوابا »[٩١] ، « وقال بعضهم شعوب » اسم المنية لاينصرف ولاتدخل فيه ألف ولالام ، لايقال هذه الشعوب . « وقال بعضهم بل يكون نكرة »[٩٢] . « قال أهل الكوفة »[٩٣] ، « قال أهل البصرة »[٩٤] .

وقد يذكر المصنف أسماء القبائل ومن ذلك قوله : « تميم ترفع هذا على الابتداء والخبر »[٩٥] . « وأما تميم فترفع هذا كله »[٩٦] . « فوقف على الهاء بالتاء على اللغة وهى حميرية . ويقال : لبعض بنى أسد بن خزيمة »[٩٧] .

وقد يجعل كلامه عاما ويستعمل كلمة العرب ، ومن ذلك قوله : « من شأن العرب التوسع فى كل شىء »[٩٨] . « إذا طال كلام العرب بالرفع نصبوا ثم رجعوا

(٨٠) الجمل : ١١٣
(٨١) الجمل : ١١٥
(٨٢) الجمل : ١٤٢
(٨٣) الجمل : ٤٩
(٨٤) الجمل : ٥٠
(٨٥) الجمل : ٦٣
(٨٦) الجمل : ٢٠٣
(٨٧) الجمل : ١٢٥
(٨٨) العين : ٢ : ٢٠٠
(٨٩) العين : ٢ : ٢٠٢
(٩٠) العين : ٤ : ٢٩٧
(٩١) العين : ١ : ٣٠٢
(٩٢) العين : ١ : ٣٠٨
(٩٣) العين : ٥ : ١٤
(٩٤) العين : ٥ : ١٤
(٩٥) الجمل : ٩٣
(٩٦) الجمل : ١٦٨
(٩٧) الجمل : ٢٧٢
(٩٨) الجمل : ٥٠

إلى الرفع »[99] « العرب إذا طال كلامهم بالرفع نصبوه »[100] « قد يضمرون فى الفعل الهاء »[101] « وقد يجعلون الاسم منه فى موضع المصدر »[102] .

ومع قلة الإسناد للأشخاص والقبائل والطوائف لانجد أثرا لما شاع فى كتاب سيبويه من قوله حدثنى أو أخبرنى الثقة ، أو بلغنا أو سمعنا من العرب ، أو سمعنا ممن يوثق به ، فلا نجد من هذا القبيل إلا قوله : « وزعم يونس النحوى »[103] ، وقوله : « فيما ذكر لى بعض أهل المعرفة »[104] . فهل عدل المصنف عن هذا الأسلوب اختصارا ؟ أو لأنه كان مصدرا لغيره فهو حجة لايحتاج إلى سند يعضده ؟

بقى أمر جدير بالذكر وهو ذلك الترابط بين محتويات الكتاب الذى يدل على أن المصنف واحد وليس الكتاب مجموعا من مصنفات شتى . ومما يؤكد ذلك الترابط وحدة المصطلح ، وتكرار العبارة ، واتحاد الفكرة فى محتويات الكتاب ونسوق أمثلة من ذلك :

١ ــ استعمال كلمة « السنخ » فى مكان « الأصل » فيقول « ألف السنخ »[105] و « لام السنخ »[106] و « هاء السنخ »[107] ، و « تاء السنخ »[108] ، و « واو السنخ »[109] ، « فاء السنخ »[110] ، « النون السنخية »[111] و « باء السنخ »[112] ، ولم يستعمل كلمة الأصل إلا فى موضع واحد وهو « الياء الأصلية »[113] .

وقد لاحظت أن سيبويه والمبرد والفراء وابن جنى والرمانى فى كتاب معانى الحروف وأبو بكر الأنبارى فى كتابه « مختصر الألفات » ، والهروى

---

(٩٩) الجمل : ٦٢
(١٠٠) الجمل : ١٧٠
(١٠١) الجمل : ٣٦
(١٠٢) الجمل : ٣٧
(١٠٣) الجمل : ٦١
(١٠٤) الجمل : ٢٠٣
(١٠٥) الجمل : ٢٢٨
(١٠٦) الجمل : ٢٦٢
(١٠٧) السابق : ٢٦٥
(١٠٨) السابق : ٢٧٤
(١٠٩) السابق : ٢٨٥
(١١٠) السابق : ٣١٣
(١١١) السابق : ٣١٣
(١١٢) السابق : ٣١٦
(١١٣) السابق : ٣١٧

فى الأزهية ، والثعالبى فى فقه اللغة ، والرازى فى الحروف، ولم يستعمل واحد منهم كلمة السنخ فى وصف الحرف الأصلى من الكلمة لا ولم أجد هذا الاستعمال إلا عند ابن خالويه فى « كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم » فى قوله : « والأصل آأمنوا ، الهمزة الأولى تسمى ألف القطع والثانية مستحية فاء الفعل »(١١٤) .

٢ ــ يعلق المصنف على قول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

« رفع الفرقدين لأنه أراد والفرقدان يفترقان فجعل إلا تحقيقا . وقال بعضهم إلا فى موضع الواو »(١١٥) .

ويقول فى موضع آخر : « إلا بمعنى الواو مثل قول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

معناه : « والفرقدان يفترقان »(١١٦) .

٣ ــ يقول فى حديثه عن النصب على القطع : « فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام »(١١٧) ويقول فى حديثه عن النصب على تمام الكلام : « فإنه لما أسقط الألف واللام نصب على القطع »(١١٨) .

٤ ــ يقول : وأما قول النابغة :

كلينى لهم ياأميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

فنصب أميمة لأنه أراد الترخيم فترك الاسم على أصله وأخرجه على التمام والنصب على نية الترخيم »(١١٩) .

ويقول فى موضع آخر : قال أبو كبير الهذلى :

---

(١١٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٧٥.
(١١٥) الجمل : ١٥٥
(١١٦) الجمل : ٣٠٠
(١١٧) الجمل : ٣٨
(١١٨) الجمل : ٨٢
(١١٩) الجمل : ٨٤

أزهيرَ هل عن شيبةٍ من معدل ؟ أم لاسبيل إلى الشباب الأوَّل

معناه : يازهير فرخم الهاء وترك الراء مفتوحة على أصلها »[١٣٠] .

٥ — يقول : قال الشاعر :

أتوعدني بقومك ياابن حجل أشابات تخالون العبادا

أراد : وماكان حصن وعمرو مع الجياد ؟ فلما حذف « مع » وأضمر « كان » « نصب »[١٣١]

وفي موضع آخر يقول تعليقا على البيت نفسه :

« فإنه حذف » « مع » وأضمر « كان » ونصب »[١٣٢] .

٦ — يقول في حديثه عن الرفع بالصرف : « وقال الآخر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير مُوقد

رفع تعشو على معنى تأته عاشيا فصرف من النصب إلى الرفع »[١٣٣] .

وقال في حديثه عن الجزم بالمجازاة تعليقا على البيت نفسه :

«رفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا إلى ضوء ناره ، فصرفه من منصوب إلى مرفوع »[١٣٤] .

٧ — ويقول : « (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله) معناه : ألا تعبدوا ، فلما أسقط حرف الناصب رفع فقال لاتعبدون »[١٣٥] .

ويقول في موضع آخر : « وأما قوله تبارك وتعالى : (يخرجون الرسول، وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة)[١٣٦] معناه يخرجون الرسول ثم قال : وإياكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي . فلما أسقط حرف الناصب رفعه على الصرف ، قال تسرون كما قال تعالى في البقرة : (وإذا أخذنا

(١٣٠) الجمل : ٢٤٨
(١٣١) الجمل : ١٧٠
(١٣٢) الجمل : ٣٠٩
(١٣٣) الجمل : ١٤٣
(١٣٤) الجمل : ١٩٨
(١٣٥) الجمل : ١٤٠ . والآية : ٨٣ من سورة البقرة
(١٣٦) سورة الممتحنة آ : ١

ميثاق بنى إسرائيل ، لاتعبدون إلا الله) معناه ألا تعبدوا »[١٣٧] .

٨ــ ويقول : « وأما قوله تعالى فى البقرة : (إلا أن يعفون) فإنما أثبت هذه النون لأنها نون إضمار جميع المؤنث »[١٣٨] .

ويقول فى موضع آخر : « ونون إضمار جمع المؤنث : قوله تعالى (إلا أن يعفون) فجعل النون ضمير جمع المؤنث فى يعفون »[١٢٩] .

٩ ــ يقول فى حديثه عن الرفع بالصرف : « ومثله : (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) معناه ثم ذرهم فى خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع »[١٣٠] .

ويقول فى حديثه عن الجزم بجواب الأمر : ومثله : (ذرهم فى خوضهم يلعبون) أى لاعبين فصرف من منصوب إلى مرفوع »[١٣١] .

١٠ ــ يقول : « وأما قوله عز وجلّ : (ولاتستعجل لهم . كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) فرفع بلاغا على أنه خبر الصفة معناه فلا تستعجل لهم بلاغ »[١٣٢] .

ويقول فى موضع آخر : « وأما قوله فى الأحقاف : (ولاتستعجل لهم ــ كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ــ بلاغ) فرفع بلاغا على أنه خبر الصفة معناه فلا تستعجل لهم بلاغ »[١٣٣]

وهذه النماذج على سبيل المثال لاالحصر[١٣٤] . وهذا الترابط يؤكد ــ فى نظرنا ــ وحدة المصنِّف ووحدة فكر المصنِّف ووضوح المنهج الذى يتبعه فى فهم

---

(١٢٧) الجمل : ٢١١

(١٢٨) الجمل : ٢٠٨ . والآية رقم ٢٣٧ من سورة البقرة

(١٢٩) الجمل : ٣١٤

(١٣٠) الجمل : ١٣٠ . والآية رقم ٩١ من سورة الأنعام .

(١٣١) الجمل : ١٩٢

(١٣٢) الجمل : ١٤٢ . والآية رقم ٣٥ من سورة الأحقاف

(١٣٣) الجمل : ١٧١

(١٣٤) انظر أيضا : (٩٣ ، ٣٠٥) ، (١٧٠ ، ٣٠٩) ، (١٣٥ ، ٢٧٠) ، (١٤٦ ، ١٤٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١) (٢٥٥ ، ٢٥٧) ، (١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٩٢) ، (٣٨ ، ٩٦) .

الأصول وفى تطبيقها على الجزئيات سواء فيما يمثل القسم الأول ومايمثل القسم الثانى من الكتاب فالخيط الفكرى فيهما واحد ، وذلك باستثناء الفصلين الأخيرين من الكتاب ، الأول : « فصل فى رويد » ، والثانى : « فصل فى الفرق بين « أم » و « أو » فهما منسلخان من نظام الكتاب لما يلى :

١ ــ لم يعقد المصنف عنوانا لمسألة من المسائل بكلمة فصل إلا فى هذين الموضعين ، كما لم تظهر كلمة « فصل » فى مصنفات القدماء إذ المستعمل فى كتبهم كلمة باب كما فى كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والجمل للزجاجى واللمع لابن جنى ، وقد ظهر استعمال كلمة فصل فى الواضح للزبيدى (ت ٣٧٩) فى غير موضع .

٢ ــ لم يبدأ بعد العنوان فى الموضعين بالكلمات التى جرى استعمالها مثل : كقولك أو قولهم ، أو تقول ، أو نقول ، أو يقولون ، إنما بدأ فصل رويد بقوله : « يجيء على أربعة أوجه » وبدأ الفصل الثانى بقوله : « اعلم » ولم ترد كلمة اعلم فى هذا الكتاب إلا فى موضعين فى هذا الموضع وفى حديثه عن ألف الاستفهام .

٣ ــ ورد فى الحديث عن رويد اصطلاحان لم يردا فى الكتاب إلا فى هذا الموضع ، الاصطلاح الأول : « اسم الفعل » والاصطلاح الثانى : « المبنى على الفتح » فهو يستعمل فى مكان المبنى على الفتح : « النصب على البنية »(١٣٥) وعرض لاسم فعل الأمر تحت عنوان : « الخفض بالأمر »(١٣٦) .

وقد يلفت النظر فى هذا المصنف أنه تضمن بعض الألغاز فى كتابة البيت تجعله غير واضح فى إعرابه ، فقد عرض المصنف خمسة أبيات فيها إلغاز يخدع فيها النطق والرسم لو جرى الناظر على المنطوق من غير إدراك لتحديد الفواصل بين الكلمات وهاهى ذى الأبيات .

(١٣٥) الجمل : ٨٥

(١٣٦) الجمل : ١٨٣

البيت الأول :

إن فيها أخيك وابن هشام وعليها أخيك والمختارا

ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « هذا لغز . يريد : أخى كوى من الكى بالنار »(١٣٧) وعلى هذا كان ينبغى أن يكتب البيت كما يلى :

إن فيها أخى كوى ابن هشام وعليها أخى كوى المختارا

وهذا البيت من بحر الخفيف : فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن . ولما كان مستفع لن فى هذا البحر هو ذو الوتد المفروق قوبل فى التقطيع والكتابة العروضية بفصل كلمة كوى فلحقت الكاف بما قبلها والواو بما بعدها فى الشطرين . وعلى هذا يلتبس إعراب كلمة أخيك .

والبيت الثانى :

★ ياخالِدِ المقتول لاتُقْتَلِ ★

ويعلق المصنف على هذا الشطر بقوله : « هو لغز يريد : ياخالِ دِ الْمقتول ، من الدية »(١٣٨) .

والبيت من السريع : مستفعلن مستفعلن فاعلن . والكتابة العروضية تقتضى أن توصل الدال باللام التى قبلها على النحو التالى : ياخالِدِ ل / مقتوللا / تقتل ، وعلى هذا يلتبس الأمر فى إعراب ياخالِدِ بكسر اللام .

البيت الثالث :

يارزاق الذَّرَّةِ الحمراء وابنتها على خوانك ملحا غير مدقوق

ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « أراد ياراز قد ذَرَّتِ الحمراء ، فأدغم الدال فى الذال وشدد »(١٣٩) .

والبيت من بحر البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن : وتقتضى الكتابة العروضية أن تلحق « قد » بما قبلها فى تكوين التفعيلة الأولى وتكتب عروضيا كما

(١٣٧) الجمل : ١٣١ ، ١٣٢

(١٣٨) الجمل : ١٣٩

(١٣٩) الجمل : ١٣٩

يلي : يَارَازِ .قَدْ / ذَرْوَتِلْ/ حمراء وب / نتها . وإدغام دال « قد » في ذال « ذرت » أوقع في لبس في الكتابة فكتبت الذرة إلغازا بتاء مربوطة .

البيت الرابع :

وفى كتاب الحجاج أنساب معشر تعلّمها منا يزيدَ ومزيدا

ويقول المصنف : « وقد يجعلون « مِنْ » بمعنى كذِّب من المين فيشتبه على السامع كما قال[140] وأورد البيت ثم قال : معنى « منا » كذِّبنا .. فلذلك نصب « يزيد » . و البيت من الطويل وليس للتقطيع العروضى أثر فى إلغاز أو لبس بل اللبس فى المادة اللغوية بمعنى أن « مِنْ » تكون حرف جر كما تكون فعل أمر بمعنى كذب ، وعند إسناد الفعل إلى ضمير المتكلمين يصير « مِنَّا » بإدغام النونين .

البيت الخامس :

إنما أمّ خالدٌ يوم جاءت بغلة الزينبىّ مِنْ قصرُ ، زيدا

ويعلق المصنف على هذا البيت بقوله : « وقوله : من قصر زيدا: من كذب ، قصر : اسم منادى كأنه قال كذّب ياقصر ، كذب زيدا »[141] ، والبيت من الخفيف وليس للتقطيع العروضى أثر فى الإلغاز أو لبس كما قلنا فى البيت السابق .

ونلاحظ أن الإلغاز فى كتاب الجمل يرجع إما إلى النطق والكتابة المطابقة له فيحدث لبس فى تحديد الفواصل بين الكلمات ، وإما إلى المادة اللغوية التى تلتبس فيها الصيغة الصرفية بغيرها وتضطرب المعانى وتفضح العلامة الإعرابية ذلك اللبس وذلك الاضطراب وترشد إلى موطنه . وهذا النمط من الإلغاز يختلف عما عرف بالألغاز والأحاجى النحوية التى بسطها الحريرى (ت ٥١٦ هـ) والزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) ومن أتى بعدهما .

فهل يقدح وجود هذا النمط من الإلغاز فى نسبة الكتاب إلى الخليل ؟ « استطيع أن أقول إن هذا النمط ليس بغريب على رجل العروض الأول إذا أومأ إليه

---

(١٤٠) الجمل : ١٧٧

(١٤١) الجمل : ١٧٧

وكشف عن مثل هذا اللبس . وقد ورد عن الخليل كلام فى الإلغاز . جاء فى مراتب النحويين لأبى الطيب : « حدثنا عبد القدوس بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن يحيى : حدثنى جماعة عن الأصمعى عن الخليل قال : رأيت أعرابيا يسأل أعرابيا عن البلصوص ماهو ؟ فقال : طائر ، قال فكيف تجمعه ؟ قال البلنصى ، قال الخليل : فلو ألغز رجل فقال :

★ فما البلصوص يتبع البلنصى ★ كان لَغِزًا »[١٤٢]

وقد تضمن هذا الكتاب مسلمات فى البحث النحوى نجدها مستقرة فى كتاب سيبويه ومن ذلك :

١ ـــ الفتحة أخف من الضمة والكسرة . والألف أخف من الياء والواو .

قال المصنف : « فألزمت فيهما الفتحة التى هى أخف الحركات »[١٤٣] .

ويقول أيضا : « لأن الألف أخف بنات المد واللين »[١٤٤] .

وقال سيبويه : الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة ، كما أن الألف أخف عليهم من الياء والواو »[١٤٥] .

٢ ـــ التنكير سابق على التعريف :

قال المصنف : « إلا أن النكرة أشد تمكنا من المعرفة لأن أصل الأشياء نكرة ويدخل عليها التعريف »[١٤٦] .

وقال سيبويه : « واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهى أشد تمكنا لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ماتعرف به »[١٤٧] .

٣ ـــ التصغير يرد الأشياء إلى أصولها .

قال المصنف : التاء التى فى ستة أصله سدسة . والدليل على ذلك

---

(١٤٢) مراتب النحويين : ١٠٤

(١٤٣) الجمل : ٥٦

(١٤٤) الجمل : ١٣٢

(١٤٥) كتاب سيبويه ٤ : ١٦٧ ، وانظر ٤ : ١٨٨

(١٤٦) الجمل : ١٢٠

(١٤٧) كتاب سيبويه : ١ : ٢٢ وانظر ٣ : ٢٤١

أنك إذا صغرت أو نسبت قلت : سديس وسدسىّ »[148] .

قال سيبويه : « وترد الذى هو من أصل الحرف إذا حقرته كما تفعل ذلك إذا كسرته للجمع »[149] والتحقير : بمعنى التصغير والاصطلاحان واردان فى كتاب سيبويه .

٤ ـــ الأسماء قبل الأفعال :

قال المصنف : « لأن الأسماء قبل الأفعال وذلك أنها لاتستغنى عن الأسماء يقولون رجلان فى الدار ، ويقولون الله ربنا ، ومحمد نبينا ، فاستغنى الاسم عن الفعل وهم إذا قالوا : قاما ، وقاموا لم يستغن الفعل عن الاسم »[150] .

وقال سيبويه : الأفعال أثقل من الأسماء لأن الأسماء هى الأولى وهى أشد تمكنا ... ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما والاســم قد يستغنى عن الفعل تقول الله إلهنا ، وعبد الله أخونا »[151] .

٥ ـــ الجر فى الأسماء نظير الجزم فى الأفعال .

قال المصنف : كما أن الجزم فى الأفعال نظير الجر فى الأسماء[152] .

وقال سيبويه : « الجزم فى الأفعال نظير الجر فى الأسماء »[153] .

هذه نظرة عامة لكتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد عرضنا فيها منهج الكتاب والعلل التى ساقها مصنفه والأعلام والطوائف التى وردت فيه ، وأبرزنا الترابط بين جزئياته وأفكاره ومصطلحاته وماجاء به مما يعد مسلمات فى نظر النحويين القدماء .

---

(١٤٨) الجمل : ١٨٢

(١٤٩) كتاب سيبويه ٣ : ٤٥٧

(١٥٠) الجمل : ٢٣٦

(١٥١) كتاب سيبويه : ١ : ٢٠

(١٥٢) الجمل : ٢٢٧

(١٥٣) كتاب سيبويه ٣ : ٩ وانظر أيضا ١ : ١٩

الفصــل الثانـــى

آراء الخليــل

منزلة الخليل بين النحويين غنية عن البيان ، فهو شيخهم بلا منازع ، وهو وراء كتاب سيبويه بلا جدال ، نقل عنه سيبويه جل آرائه ، وإذا كنا نعرض فى هذا الفصل لآراء الخليل فإنما نعنى أن نفحص كتاب الجمل المنسوب للخليل فى ضوء ما نسب إليه من آراء ، ونفحص آراءه فى ضوء كتاب الجمل أيضا .

ونرى أن المصدر الأول لآراء الخليل ينبغى أن يكون كتاب العين وإن كان معجما ، ثم يليه كتاب سيبويه ، ولايلزم أن يتضمن كتاب الجمل المنسوب للخليل كل مانسب إليه ، ولكن الذى يعنينا فى المقام الأول أن نجد صدى لما نسب إليه فى كتاب الجمل . وبناء على ذلك سنعرض لآراء الخليل من ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : آراء الخليل الواردة فى كتاب العين وصداها فى كتاب الجمل .

الجانب الثانى : آراء الخليل المنسوبة إليه فى كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وصداها فى كتاب الجمل .

الجانب الثالث : الآراء الواردة فى كتاب الجمل ولم تنسب للخليل فى كتب النحو .

أولا : آراءالخليل الواردة فى كتاب العين وصداها فى كتاب الجمل .

ندرك أن كتاب العين معجم لغوى ، ولكن الخليل ضمنه بعض إشارات نحوية قد تعين فى الكشف عن نسبة كتاب الجمل إلى الخليل صاحب معجم العين ، وبتتبع ما نشر من هذا المعجم نلمح اتفاقا فى أفكار ومسائل متصلة بالنحو والصرف ومن ذلك :

١ ــ النصب بالصرف :

جاء فى الجمل : « نصب لأنه مصروف عن جهته »[(١)]

---

(١) الجمل : ٦٨

وجاء فى كتاب العين : « والمصروف ينصب ليعلم أنه منقول من حال إلى حال »[٢] .

ففكرة النصب بالصرف عدولا عن الرفع كانت ماثلة فى ذهن الخليل حقا كما فى كتاب العين ، ولم تكن خاصة بالكوفيين كما يشيع فى مفهوم كثير من الدارسين قدماء ومحدثين ، ولكنها لم تظهر فى كتاب سيبويه ، وعدم ظهورها فى كتاب سيبويه لايعنى أنها كوفية محضة ، وسيأتى تفصيل ذلك فى حديثنا عن المصطلحات إن شاء الله .

٢ ــ حذف حرف القسم وبقاء المقسم به مجرورا

جاء فى الجمل : « وبعضهم يضمرون حرف القسم ويجرون به فيقولون : « اللهِ لأزروك »[٣] .

وجاء فى العين : وتقول العرب : اللهِ مافعلت ذاك تريد واللهِ مافعلته »[٤] .

٣ ــ توجيه عمرَك الله .

جاء فى الجمل : « وأما عمَرك الله فعلى معنى : عمَّرتك الله أى سألت الله لك طول العمر »[٥] .

وجاء فى العين : « وتقول عمرك الله أن تفعل كذا . هذا إن تحلفه بالله أو تسأله طول عمره »[٦] .

٤ ــ كثرة حالات النصب على حالات الرفع والجر :

جاء فى الجمل : « وإنما بدأنا بالنصب لأنه أكثر الإعراب طرفا ووجوها » * .

وجاء فى العين : « والنصب خزانة النحو ... أى معولهم عليه أكثر من سائره » ** .

---

(٢) العين : ٢ : ٥٢

(٣) الجمل : ١٠٨

(٤) العين ٤ : ٩٠

(٥) الجمل : ١٠٨ ، ١٠٩

(٦) العين ٢ : ١٣٧

* الجمل : ٣٣

** العين ٤ : ٢٠٩

٥ ــ كف النون من المثنى لغير إضافة :

جاء فى الجمل : وأما قول الأخطل .

أبنى كليب إنَّ عمّىّ اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

أراد اللذان فحذف النون . وقال آخر :

إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يأم خالد

أراد إن الذين فكف النون ، وقال امرؤ القيس:

لها متنان خظاتا ، كما أكب على ساعديه النمر

ثم قال : « ومنه قول الله تبارك وتعالى فى الحج فى حرف من يقرأ : (والمقيمن الصلاة) أراد المقيمين الصلاة فكف النون ونصب الصلاة »[٧] .

وجاء فى العين : خظا يخظو وخظى يخظى فهو خاظ إذا اكتنز لحمه ، قال :

لها متنان حظاتا كما أكب على ساعديه النمر

وقال بعض النحويين : كف نون خظاتان كما قالوا فى الرفع «اللذا» وهم يريدون اللذان . وعلى هذا الكف فى قراءة : (والمقيمين الصلاة) فنصب الصلاة »[٨] .

٦ ــ الهاء علامة للتأنيث

جاء فى الجمل : « وهاء التأنيث مثل كلمة وضربة وجنة وشجرة وقلنسوة »[٩] .

وجاء فى العين : قال الليث قلت للخليل ماعلامة اسم التأنيث ؟ قال ثلاثة أشياء الهاء فى قولك قائمة والمد فى حمراء ، والياء فى حلقى وعقرى »[١٠] .

فاستعمال الخليل التعبير بهاء التأنيث فى كتاب العين يشعر بأنه تعبير قديم

---

(٧) الجمل : ٢١٦ ، ٢١٧

(٨) العين ٤ : ٢٩٧

(٩) الجمل : ٢٦٩

(١٠) العين ٤ : ٣٦٢

وقد ورد فى كتاب سيبويه أيضا فعقد بابا بعنوان « هاءات التأنيث »[١١] .

٧ ــ الهاء للمبالغة :

جاء فى الجمل : « وهاء المبالغة والتفخيم مثل قولهم رجل علامة ونسَّابة »[١٢] .

وجاء فى العين : ورجل مجّاعة : أى كثير التجع مثل علامة ونسابة قال الخليل يدخلون الهاء فى نعوت الرجال للتوكيد »[١٣] .

والغرض من التوكيد هنا المبالغة .

وهكذا نشعر بأن بين كتاب الجمل وكتاب العين سببا ، ولم يصنف الخليل كتاب العين ليكون كتاب نحو ولكنا التقطنا منه بعض ماتناثر فى ثناياه ووجدنا له صدى فى كتاب الجمل لعله يؤنسنا فيما نحن بصدده .

ثانيا : آراء الخليل المنسوبة إليه فى كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وصداها فى كتاب الجمل .

وإذا تابعنا الآراء التى نسبت للخليل فى كتاب سيبويه وبحثنا عن صداها فى كتاب الجمل فإننا نجد قدرا مشتركا ولايلزم أن يتضمن كتاب الجمل كل آراء الخليل المنسوبة له فى كتاب سيبويه بل الذى يعنينا ألا نجد تناقضا بينماينسبه سيبويه للخليل ومايرد فى الجمل . وهذا القدر المشترك بين الكتابين يتمثل فيما يلى :

قال سيبويه : « ومثل ذلك فيما زعم الخليل :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ... ولو تعزيت عنها أمَّ عمار

قال الخليل رحمه الله : لما قال هيجنى عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكره الحمام

(١١) كتاب سيبويه ٣ : ٢٢٠
(١٢) الجمل : ٢٦٨
(١٣) العين ١ : ٢٨٠

وتهييجه فألقى ذلك الذى قد عرف منه على أم عمار كأنه قال هيجنى فذكرنى أم عمار »[14] .

وجاء فى الجمل : « وقال آخر :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ... ولو تعزيت عنها أمَّ عمار

نصب أم عمار على معنى هيجنى فذكرت أم عمار » .[15]

فما نسبه سيبويه للخليل موجود فى الجمل والشاهد هو هو » .

٢ ــ قال سيبويه : « باب مايجىء من المصادر منتصبا على إضمار الفعل المتروك إظهاره . وذلك قولك حنانيك كأنه قال : تحننا بعد تحنن ..... قال الشاعر وهو طرفة بن العبد :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وزعم الخليل رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحننا بعد تحنن كأنه قال كلما كنت فى رحمة وخير فلا ينقطعن وليكن موصولا بآخر من رحمتك »[16] .

وجاء فى الجمل :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

كأنه قال رحمتيك لأن التحنن من الرحمة أى ارحمنا رحمة بعد رحمة »[17] فالاتفاق واضح فى المضمون مع الاتحاد فى الشاهد .

٣ ــ قال سيبويه : « وزعم يونس أن لبيك اسم واحد ولكنه جاء على هذا اللفظ فى الإضافة كقولك عليك . وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حواليك »[18] .

وجاء فى الجمل : وأما قولك (لبيك) إنما يريدون : قربا ودنوا على معنى إلباب بعد إلباب أى قرب بعد قرب فجعلوا بدله لبيك ... وإذا قالوا أنا لَبٌّ فإنما يريدون

(١٤) كتاب سيبويه ١ : ٢٨٦

(١٥) الجمل : ١٠٤

(١٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٤٨

(١٧) الجمل : ١٥٣

(١٨) كتاب سيبويه ١ : ٣٥١

قريب منك مرة واحدة ، وإذا قالوا لبيك أرادوا ، أنا قريب منك أنا قريب منك مرتين » فما نسبه سيبويه للخليل واضح فى كتاب الجمل .

٤ ــ قال سيبويه : « وذلك قولك ماأحسن عبد الله . زعم الخليل أنه بمنزلة قولك شىء أحسن عبد الله ، ودخله معنى التعجب وهذا تمثيل ولم يتكلم به »[٢٠] .

وجاء فى الجمل : « والنصب بالتعجب قولهم : ماأحسن زيدا وماأكرم عمرا ! وهو فى التمثال بمنزلة الفاعل والمفعول به كأنه قال شىء حسَّنَ زيداً »[٢١] .

فما نسبه سيبويه للخليل مطابق لما جاء فى الجمل فيما يتصل يتصور أسلوب التعجب ، وعبارة « وهذا تمثيل ولم يتكلم به » مساوية لعبارة « وهو فى التمثال بمنزلة الفاعل والمفعول به » .

٥ ــ قال سيبويه : « قال الخليل : هو كائن أخيك على الاستخفاف والمعنى كائن أخاك »[٢٢] .

وجاء فى الجمل : والنصب من خلاف المضاف : قولهم : هذا ضاربُ زيدٍ ، تخفض زيدا بإضافة ضارب إليه ، فإذا أدخلت التنوين على ضارب خالفت الإضافة ، وصار كالمفعول به فتنصب زيدا بخلاف المضاف »[٢٣] .

فمعنى كلام سيبويه أن الخليل يرى أن التنوين حذف للخفة ولو ظهر التنوين لاستحق المضاف إليه النصب على أنه معمول لاسم الفاعل العامل عمل فعله ، وهذا المعنى هو مفهوم ماجاء فى الجمل .

٦ ــ قال سيبويه : « وزعم يونس أن من العرب من يقول : النازلون بكل معترك والطيبين ، فهذا مثل (والصابرين) ... وزعم الخليل أن نصب هذا (أى

---

(١٩) الجمل : ١٥٣ ، ١٥٤

(٢١) الجمل : ٤٩

(٢٢) كتاب سيبويه ١ : ١٦٦

(٢٣) الجمل : ٧١

الطيبين والصابرين) على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولامن تخاطب بأمر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ماقد علمت فجعله ثناء وتعظيما ونصبه على الفعل كأنه قال : اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين »[٢٤] .

وجاء فى الجمل : « وزعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح فى سورة النساء (والمقيمين الصلاة) و (والصابرين فى البأساء والضراء) ... وإنما ينصب المدح والذم والترحم والاختصاص على إضمار أعنى »[٢٥] .

فما ورد فى كتاب سيبويه وكتاب الجمل يتضمن ذكر يونس مصدَّرا بالفعل « زعم » وكذلك فكرة النصب على المدح والثناء والتعظيم ، وكذلك إضمار فعل ناصب فى هذا التركيب ، وهو منسوب للخليل فى كتاب سيبويه صريح فى كتاب الجمل .

٧ ـــ قال سيبويه : وزعم الخليل أنه يقول : مررت به المسكين على البدل وفيه معنى الترحم ... وكان الخليل يقول : إن شئت رفعته من جهتين .... وإن شاء قال : مررت به المسكينَ ... وفيه معنى الترحم »[٢٦] .

وجاء فى الجمل : « والنصب بالترحم قولهم مررت به المسكينَ . نصبت المسكين على أنك رحمته »[٢٧] .

فنصب المسكين فى هذا التركيب على معنى الترحم منسوب للخليل فى كتاب سيبويه ووارد فى كتاب الجمل .

٨ ـــ قال سيبويه : هذا باب مايجوز فيه الرفع مما ينتصب فى المعرفة . وذلك هذا عبد الله منطلق ، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب وزعم أن رفعه يكون على وجهين فوجه أنك حين قلت ، هذا عبد الله أضمرت

---

(٢٤) كتاب سيبويه ٢ : ٦٥

(٢٥) الجمل : ٦١ ، ٦٢ . والآية الأولى رقم ١٦٢ من سورة النساء . والآية الثانية رقم ١٧٧ من سورة البقرة .

(٢٦) كتاب سيبويه ٢ : ٧٥

(٢٧) الجمل : ٦٤

هذا أوهو كأنك قلت هذا منطلق أو هو منطلق »[28] .

وجاء فى الجمل : « والنصب من القطع مثل قولك هذا الرجل واقفا ... قال جرير :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفـــة لوشئت ساقكــم إلــىّ قطينـــا

نصب خليفة على القطع من المعرفة .. ولو رفع على معنى هذا ابن عمى هذا خليفة لجاز »[29] .

فتوجيه الرفع فى مثل هذا التركيب المنسوب للخليل فى كتاب سيبويه وارد فى كتاب الجمل .

٩ ــ قال سيبويه : « وقال الخليل رحمه الله : وإن شئت جعلت (مَنْ) بمنزلة إنسان وجعلت (ما) بمنزلة شىء نكرتين ويصير منطلق صفة لمن . ومهين صفة لما . وزعم أن هذا البيت عنده مثل ذلك وهو قول الأنصارى :

فكفــى بنـــا فضلا عَلى من غيرنـــا حب النبــى محمـــدا إيانـــا »[30]

وجاء فى الجمل : « وقال الشاعر هو حسان بن ثابت:

فكفــى بنا فضلا على من غيرنا حب النبـــى محمـــدا إيانـــا

(مَنْ) نكرة كأنه قال : على حىٍّ غيرنا . وقد رفعه ناس وهو أجود »[31] . فاستعمال (مَنْ) نكرة المنسوب فى كتاب سيبويه للخليل مطابق لما جاء فى كتاب الجمل مع الاتفاق فى الشاهد .

١٠ ــ وقال سيبويه : « وزعم الخليل أن هذا (أى الإضمار فى قولهم إن بك زيد مأخوذ) يشبه قول من قال وهو الفرزدق :

فلـــو كنت ضبيـــا عرفت قرابتـــى ولكـــنّ زنجىٌّ عظيم المشافـــر

---

(٢٨) كتاب سيبويه ٢ : ٨٣

(٢٩) الجمل : ٣٨

(٣٠) كتاب سيبويه ٢ : ١٠٥

(٣١) الجمل : ٨٩

.... أضمر « هذا » كما يضمر مايبنى على الابتداء »[٣٢]

وجاء فى الجمل : وقال آخر :

فلـــو كنت ضبيـــا عرفت قرابتـــى ولكـــــنّ زنجىٌّ عظيم المشافـــــر

أراد ولكنك زنجىّ عظيم المشافر »[٣٣] .

ففكرة الإضمار فى توجيه البيت واردة فى الكتابين كما أن الرواية واحدة ، أى برفع زنجى .

١١ ــ قال سيبويه : « وقال الخليل : إن من أفضلهم كان زيدا على إلغاء كان وشبهه بقول الشاعر وهو الفرزدق :

فكيـــــف إذا رأيت ديــــار قوم وجيران لنــــا كانـــوا كرام[٣٤] .

وجاء فى الجمل : وتقول مررت بقوم كانوا كرام ، ألغيت (كان) وأردت مررت بقوم كرام . قال الفرزدق :

فكيـــف إذا أتـــيت ديــــار قوم وجيران لنــــا كانـــوا كرامِ[٣٥]

فالشاهد واحد والتخريج المنسوب للخليل فى كتاب سيبويه هو الوارد فى كتاب الجمل .

١٢ ــ قال سيبويه : وقال الخليل رحمه الله : اللهم نداء والميم هاهنا بدل من الياء »[٣٦] .

وجاء فى الجمل : « ومعنى اللهم أرادو أن يقولوا : ياالله فثقل عليهم فجعلوا مكان حرف النداء الميم ، وجعلوا الميم بدلا من حرف النداء ، فقالوا اللهم »[٣٧] . فالرأى المنسوب فى كتاب سيبويه للخليل هو المذكور فى كتاب الجمل .

---

(٣٢) كتاب سيبويه ٢ : ١٣٥ ، ١٣٦
(٣٣) الجمل : ٢١٣
(٣٤) كتاب سيبويه ٢ : ١٥٣
(٣٥) الجمل : ١٢٤
(٣٦) كتاب سيبويه ٢ : ١٩٦
(٣٧) الجمل : ١١٠

١٣ ــ قال سيبويه : وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم : ياطلحة أقبل يشبه ياتيم تيم عدى من قبل أنهم قد علموا أنهم لو لم يجيئوا بالهاء مكان آخر الاسم مفتوحا فلما ألحقوا الهاء تركوا الاسم على حاله التى كان عليها قبل أن يلحقوا الهاء . وقال النابغة الذبيانى :

كلينى لهم ياأميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وجاء فى الجمل : وأما قول النابغة :

كلينى لهم ياأميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

فنصب أميمة لأنه أراد الترخيم فترك الاسم على أصله وأخرج على التمام ونصب على نية الترخيم »[٣٩] .

فالشاهد واحد والتوجيه غير مختلف .

١٤ ــ قال سيبويه :

« هذا لعمركم الصغار بعينه ... لاأمّ لى إن كان ذاك ولاأبُ

فزعم الخليل رحمه الله أن هذا يجرى على الموضع لا على الحرف الذى عمل فى الاسم كما أن الشاعر حين قال :

« فلسنا بالجبال ولا الحديدا »؛ أجراه على الموضع[٤٠]

وجاء فى الجمل : « ماكان من النصب على الموضع لا على الاسم : أزورك اليوم أو غدا . ولستم بالكرام ولا السادة ، قال عقبة الأسدى :

معاوى إننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

نصب الحديد على موضع الجبال »[٤١] .

فتخريج البيت على الجرى على الموضع المنسوب للخليل فى كتاب سيبويه ، والتنظير له مماثل تماما لما فى كتاب الجمل .

(٣٨) كتاب سيبويه ٢ : ٢٠٧

(٣٩) الجمل : ٨٤

(٤٠) كتاب سيبويه ٢ : ٢٩٢

(٤١) الجمل : ٧٤

١٥ ــ قال سيبويه : « زعم الخليل ويونس جميعا أنه يجوز ماأتانى غير زيد وعمرو فالوجه الجر . وذلك أن غير فى موضع « إلا زيد » وفى معناه فحملوه على الموضع »[٤٢] .

وجاء فى الجمل : « والرفع بالحمل على الموضع كقول الشاعر :

ولم يجدوا إلا منــــاخ مطيـــــة   تجافى بها زورٌ نبيــل وكلكــل
ومفحصهـــا عنها الحصى بجرانها   ومثنى نواج لم يَخُنْهُنَّ مَفْصِلُ
وسمر ظمـــاء واتــرتهنّ بعدمــا   مضت هجعة من آخر الليل ذُبَّلُ

رفع سُمْراً ولم ينسقه على الاستثناء لأنه حمله على المعنى لأنك إذا قلت : لم أر فى البيت إلا رجلين فهو فى معنى فى البيت رجلان ... »[٤٣] .

فالرفع بالحمل على الموضع الذى نسبه سيبويه للخليل نجده مطابقا لما فى كتاب الجمل .

١٦ ــ قال سيبويه : « وكان الخليل يقول : والله إنه لعظيم جعلهم « هو » فصلا فى المعرفة وتصييرهم إياها بمنزلة « ما » إذا كانت لغوا »[٤٤] .

وجاء فى كتاب الجمل : « وتقول هم قوم كرام فإذا جعلت هذه الحروف فصلا بين حروف التراقى وحروف « كان » لم تعمل شيئا وأجريت الكلام على أصله كقولك كان عمرو هو خيرا منك »[٤٥] .

وهذا يعنى أن نظرة الخليل إلى ضمير الفصل المنسوبة له هى المستقرة فى كتاب الجمل فمصنفه بصرى .

١٧ ــ قال سيبويه : وسألت الخليل عن قوله :

متى تأتنا تلمم بنا فى دارنا   تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

---

(٤٢) كتاب سيبويه ٢ : ٣٤٤
(٤٣) الجمل : ١٤٤
(٤٤) كتاب سيبويه ٢ : ٣٩٧
(٤٥) الجمل : ١٦٧

قال تلمم بدل من الفعل الأول ونظيره فى الأسماء : مررت برجل عبد الله ، فأراد أن يفسر الإتيان بالإلمام »[٤٦] .

وجاء فى الجمل : وقال الشاعر :

متى تأتنا تلمم بنا فى دارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومجازه متى تأتنا تلمم بنا على البدل والإلمام هو الإتيان »[٤٧] .

فالمطابقة بين النصين لاتحتاج إلى بيان فالشاهد واحد وكذلك الإعراب واستعمال مصطلح البدل ، وتفسير الإلمام بالإتيان .

١٨ ــ قال سيبويه : « وسألته عن قوله جل وعز : (ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة) فقال هذا كالأول لأن مضاعفة العذاب هو لقى الآثام »[٤٨] .

وجاء فى الجمل : قال الله تبارك وتعالى فى الفرقان : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب) جزم يضاعف على البدل »[٤٩] .

ويريد سيبويه بقوله كالأول البيت الأول ، أى أن يضاعف بدل من يلق ، وقد أورد سيبويه ثلاثة أسئلة وجهها إلى الخليل فى هذا الموضع ، الأول: عن قول الشاعر :

متى تأتنا تلمم بنا فى دارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

والثانى : عن قولنا : إن تأتنا تسألنا نعطك . فتبين له أن جزم تسألنا ليس على ماكان عليه البيت السابق بل على أنه يدل غلط أو نسيان . والثالث عن هذه الآية الكريمة .

١٩ ــ قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله : « إن تأتنى فتحدثنى أحدثك وإن تأتنى وتحدثنى أحدِّثك ، فقال هذا يجوز والجزم الوجه »[٥٠] .

---

(٤٦) كتاب سيبويه ٣ . ٨٦

(٤٧) الجمل : ١٩٧

(٤٨) كتاب سيبويه ٣ : ٨٧

(٤٩) الجمل : ١٩٧

(٥٠) كتاب سيبويه ٣ . ٨٨

وجاء فى الجمل : « قال الله تبارك وتعالى : (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) جزم يستكبر لأنه عطفه بالواو على الأول »[٥١] .

ولما كان الجزم هو الوجه كما ذكر سيبويه عن الخليل اكتفى مصنف كتاب الجمل بشاهد الجزم .

٢٠ ــ قال سيبويه : وقال معروف :

كونوا كمن واسى أخاه بنفسه ... نعيش جميعا أو نموت كلانا

كأنه قال : كونوا هكذا إنا نعيش جميعا أو نموت كلانا إن كان هذا أمرنا .

وزعم الخليل : أنه يجوز أن يكون نعيش محمولا على كونوا كأنه قال كونوا نعيش جميعا أو نموت كلانا »[٥٢] .

وجاء فى الجمل : وقال آخر :

كونوا كمن آسى أخاه بنفسه ... نعيش جميعا أو نموت كلانا

رفع على معنى أنا نعيش جميعا لولا ذلك لجزم »[٥٣] .

وإذا بداهنا عدم مطابقة ماجاء بكتاب الجمل لرأى الخليل المنسوب له فى كتاب سيبويه . فإننا نقول إن سيبويه علق على البيت بقوله : كأنه قال كونوا هكذا إنا نعيش جميعا . وهذا التعليق يتفق مع ماورد فى كتاب الجمل ، أما ماذكره سيبويه عن الخليل من جواز تقدير آخر فلا يلزم أن يذكره الخليل فى مصنف له فقد يهمل المصنف رأياً له ويذكره بعض تلاميذه فى مصنفاتهم .

٢١ ــ قال سيبويه : « وقال الخليل وإذا فصلت بين كم وبين الاسم بشىء استغنى عليه السكوت أو لم يستغن فاحمله على لغة الذين يجعلونها باسم منون ... قال زهير :

---

(٥١) الجمل : ٢٠٠

(٥٢) كتاب سيبويه ٣ : ٤٩٦ ، ٤٩٧

(٥٣) الجمل : ١٩٣

تؤم سنانـــــا وكم دونــــــــه من الأرض محدودبــا غارهــــــا

وقال القطامى :

كم نالنى منهم فضلا على عَدَمٍ إذ لاأزال من الإقتار أجتمِـلُ[٥٤]

وجاء فى الجمل : « قولهم : كم رجل عندك أرادرُبَّ رجل عندك . فإذا فصلت نصبت فقلت كم عندك رجلا قال زهير :

تؤم سنانـــــا وكم دونــــــــه من الأرض محدودبــا غارهــــــا

وقال آخر :

كم مجود مقرفـــا نال الــــــعلى وكـــريما بخلـــه قد وضعـــــه

وقال القطامى :

كم نالنــــــــى فضلا على عدم إذ لاأزال من الإقتار أجتملُ[٥٥]

فما نسبه سيبويه للخليل ماثل فى كتاب الجمل بشواهده كما نرى .

٢٢ ــ قال سيبويه : « وسألته عن قوله : لتفعلن إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها مايحلف به . فقال : إنما جاءت على نية اليمين وإن لم يتكلم بالمحلوف به »[٥٦] .

وجاء فى الجمل : وإذا لم يتقدم لامُ الشرط لامَ التأكيد فلابد للام التأكيد أن يكون قبلها إضمار القسم مثل قوله تعالى : (لتبلون) معناه والله لتبلون »[٥٧] .

فنية اليمين تعنى إضمار القسم . ومانسبه سيبويه للخليل واضح فى كتاب الجمل .

٢٣ ــ قال سيبويه فى باب أم المنقطعة : « وزعم الخليل أن قول الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيـالا

كقولك إنها لإبل أم شاء »[٥٨] .

(٥٤) كتاب سيبويه ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥

(٥٥) الجمل : ٩٧

(٥٦) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٥

(٥٧) الجمل : ٢٥٦

(٥٨) كتاب سيبويه ٣ : ١٧٤

وجاء فى الجمل : « وقد تضع العرب أم فى موضع بل كقول الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

معناه : بل رأيت بواسط »[٥٩] .

فالاتفاق فى الشاهد والتوجيه واضح .

٢٤ ــ قال سيبويه : « ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام : « هذا جحر ضبٍّ خربٍ . فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب ، وأفصحهم وهو القياس لأن الخرب نعت للجحر ، والجحر رفع ، ولكنّ بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف إلى النصب فجروه لأنه نكرة كالنصب ، ولأنه فى موضع يقع فيه نعت الضب ولأنه فى موضع صار فيه هو والنصب بمنزلة اسم واحد . ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم بِهِم وبدارهم ، وماأشبه هذا ، وكلا التفسيرين تفسير الخليل ، وكان كل واحد منهما عنده وجها من التفسير »[٦٠] .

وجاء فى الجمل : « كما قالوا : هذا جحر ضب خربٍ، خفض خربا وهو من نعت الجحر وإنما خفضه لقربه من الضبِّ »[٦١] .

فتفسير الجر المنسوب للخليل فى كتابه سيبويه مفسر وموضح فى كتاب الجمل .

٢٥ ــ قال سيبويه : وسألت الخليل عن قوله عز وجل : (فأصدق وأكن من الصالحين) فقال هذا كقول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك مامضى ولاسابِق شيئا إذا كان جائيا

فإنما جروا هذا لأن الأول قد يدخله الباء فجاءوا بالثانى وكأنهم قد أثبتوا فى الأول الباء ، فكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد يكون جزما ولافاء فيه ، تكلموا بالثانى وكأنهم قد جزموا قبله فعلى هذا توهموا »[٦٢] .

(٥٩) الجمل : ٢٩٣

(٦٠) كتاب سيبويه ١ : ٤٣٦ ، ٤٣٧

(٦١) الجمل : ١٧٥

(٦٢) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٠ . والآية رقم ١٠ من سورة « المنافقون »

وجاء فى الجمل : وقال أيضا : (رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكنْ من الصالحين) أى هلا أخرتنى .. وأكنْ . كأنه جعله نسقا بالواو على جواب الاستفهام ولم يعبأ بعمل الفاء »[٦٣] .

فتوجيه الجزم فى « أكنْ » المنسوب للخليل فى كتاب سيبويه يتفق مع التوجيه الوارد فى كتاب الجمل وإن اختلف التعبير .

٢٦ ـــ قال سيبويه : « وقال الخليل رحمه الله : من قال يازيد والنضرَ فنصب فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التى يردّ فيها الشىء إلى أصله فأما العرب فأكثر مارأيناهم يقولون يازيدُ والنضرُ ، وقرأ الأعرج : (ياجبال أوبى معه والطيرُ) فرفع ويقولون ياعمرو والحارثُ . وقال الخليل رحمه الله وهو القياس »[٦٤] .

وجاء فى الجمل : والنصب الذى يقع فى النداء المفرد أن تنادى اسما ليس فيه الألف واللام ثم تعطف عليه باسم فيه الألف واللام تقول يازيد والفضل ، ويامحمد والحارث . وقال جل وعز (ياجبال أوبى معه والطيرَ) نصب الطير لأن حرف النداء يقع عليه ولم يجز أن تقول : يالفضل فنصب على خلاف النداء .... ويجوز أن ترفع على معنى يازيد أقبل وليقبل معك الفضل ، وعلى هذا يقرأ من يقرأ (ياجبالُ أوبى معه والطيرُ) على الرفع ومجازه وليؤوّب الطير معك »[٦٥] .

وهنا نجد أن مانسبه سيبويه للخليل ليس بعيدا عما جاء فى كتاب الجمل فقد ذكر سيبويه أن الخليل يرى أن رفع الاسم المقترن بأل المعطوف على المنادى العلم المفرد هو القياس بقوله : « وقال الخليل رحمه الله وهو القياس » . وهذا المعنى يؤديه ماجاء فى الجمل « فنصب على خلاف النداء » . فالنصب هنا ليس قياسا لكن لما لم يجزيا الفضلُ عدل عن الرفع إلى النصب .

(٦٣) الجمل : ١٩٤
(٦٤) كتاب سيبويه : ٢ : ١٨٦ ، ١٨٧ والآية رقم ١٠ من سورة سبأ
(٦٥) الجمل : ٨٣ ، ٨٤

٢٧ ـــ قال سيبويه : « وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرف واحد كقد وأنه ليست واحدة منهما منفصلة عن الأخرى »[٦٦] .

وجاء فى الجمل : « وأما ألف التعريف : مثل قولك النساء ، والمرأة ، والرجل ، والفرس ، وسمى ألف التعريف لأنك تدخله مع اللام فى أول الاسم النكرة فيصير ذلك الاسم معرفة »[٦٧] .

وجاء فى الجمل أيضا : « ولام التعريف مثل اللام التى فى الرجل ، والفرس ، والحائط . تدخل مع الألف على الاسم منكورا فيكون معرفة لأن قولهم : فرس وحائط ورجل هى مناكير . وإن قلت : الرجل والمرأة والفرس ، صارت معارف بإدخال الألف واللام »[٦٨] .

فقد نسب مصنف كتاب الجمل التعريف للحرفين مجتمعين وهذا هو نسبه سيبويه للخليل .

٢٨ ـــ قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قول الأعشى :

لقد كان فى حول ثواء ثويته   تُقَضَّى لبانـــاتٌ ويسأمُ سائم

فرفعه وقال : لاأعرف فيه غيره لأن أول الكلام خبر وهو واجب كأنه قال : ففى حول تقضى لباناتٌ ويسأم سائم هذا معناه »[٦٩] .

وجاء فى الجمل تحت عنوان الرفع بالصرف : « وأما قول الأعشى وليس من هذا النوع :

لقد كان فى حول ثواء ثويته   تقضى لبانـــات ويسأمُ سائم

أراد أن يقول أن يسأم سائم فصرف النصب إلى الرفع فقال ويسأمُ . وقال بعضهم : نصب ويسأمَ على إضمار « أن » فصرف إلى النصب لأن معناه وأن يسأم »[٧٠] .

---

(٦٦) كتاب سيبويه ٣ : ٣٢٤

(٦٧) الجمل : ٢٤١

(٦٨) الجمل : ٢٦٢

(٦٩) كتاب سيبويه ٣ : ٣٨

(٧٠) الجمل : ١٤٣ ، ١٤٤

وقد يبدو التناقض بين مانسبه سيبويه للخليل وماورد فى كتاب الجمل وبخاصة قول سيبويه عن الخليل : « وقال : لاأعرف فيه غيره » .

فرواية سيبويه تفيد أن الخليل لايعرف فى الفعل (يسأم) إلا الرفع ، وماجاء فى كتاب الجمل يفيد أن المصنف يرى الرفع أيضا ووجهه وإلى هنا لاتناقض ، وإنما يبدو التناقض بقوله : « وقال بعضهم نصب ويسأم على إضمار أن » ويمكن أن تدفع هذا التناقض بواحد مما يلى :

١ — أن تكون « وقال بعضهم .... » من زيادة النساخ الملمين بمسائل النحو وخباياه .

٢ — أن يكون المراد بقول الخليل : « لاأعرف فيه غيره » أنه لايأخذ برواية النصب ولم يسلم بتوجيهها .

٣ — أن يكون الخليل قد وقع على رواية أخرى وتوجيهها بعد إجابته على سيبويه .

٤ — أن يكون سيبويه سأل الخليل عن البيت برواية (يُقَضَّى) وهى لايكون معها إلا رفع (يسأم) . وقد ورد هذا الشاهد فى المقتضب غير مرة[٧١] ، وذكر المبرد للبيت روايتين الأولى (تُقَضَّى) والثانية (تَقَضٍّ) وقال : « فيرفع (يسأم لأنه عطفه فعل وهو تُقَضَّى فلا يكون إلا رفعا . ومن قال تَقَضٍّ لباناتٍ ، قال : ويسأمَ سائم ، لأن (تَقَضٍّ) اسم فلم يجز أن تعطف عليه فعلا . فأضمر أن ليجرى المصدر على المصدر فصار تَقَضٍّ لبانات وأن يسأم سائم أى وسآمة سائم وعلى هذا ينشد البيت :

للبس عباءة وتقرَّ عينى — أحب إلى من لبس الشفوف[٧٢]

بعد هذا التتبع لما نسبه سيبويه للخليل بن أحمد من آراء فى المسائل النحوية التى وجدنا صداها فى كتاب الجمل نستطيع أن نقول إن هذا الاتفاق الذى عرضنا نماذجه من كلا الكتابين يجعلنا أمام احتمالين ، إما أن يكون مصنف

---

(٧١) انظر المقتضب للمبرد ١ . ١٦٥ الطبعة الثانية ، ٢ : ٢٦ ، ٤ : ٢٩٧

(٧٢) المقتضب للمبرد ٢ : ٢٦ ، ٢٧

كتاب الجمل سابقا على سيبويه وهو الخليل بن أحمد نفسه ، وإما أن يكون المصنف لاحقا لسيبويه ، والاحتمال الثانى فيه نظر لأنه يعنى أن مصنف كتاب الجمل كان حريصا على أن يجمع آراء الخليل دون غيره ليخرجها للناس ، ولو كان الأمر كذلك لظهر هذا فى مقدمة الكتاب ولأشار المصنف إلى مصادره فى ثنايا كتابه، ولكن لما لم يرد شيء من ذلك نجد أنفسنا نميل إلى الاحتمال الأول إلى أن نقف إلى مايعضده أو يدحضه من خلال الفصول القادمة .

وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن نعرج على كتب النحو الأخرى باحثين عما ورد فيها منسوبا للخليل لعلنا نجد له صدى فى كتاب الجمل .

١ ـــ يقول المبرد : « وكان الخليل يقرأ : (إنْ هذان لساحران) فيؤدى خط المصحف ومعنى إن الثقيلة فى قراءة ابن مسعود إن ذان لساحران »[٧٣] وقال أبو جعفر النحاس وقرأ الزهرى واسماعيل بن قسطنطين والخليل بن أحمد وعاصم فى إحدى الروايتين : (إنْ هذان لساحران) بتخفيف إنّ[٧٤] .

وجاء فى الجمل : قال الخليل بن أحمد وأنا أقرؤها مخففة على الأصل (إنْ هذان لساحران) أى ماهذان إلا ساحران »[٧٥] .

فما نسبه المبرد وأبو جعفر النحاس للخليل فى قراءة هذه الآية ثابت فى كتاب الجمل وهو الذى يعنينا هنا وإن اختلف التوجيه ، إذ التوجيه فى كتاب الجمل قائم على أنّ (إنْ) نافية واللام بمعنى إلا . وهذا طريق الكوفيين[٧٦] ، أما طريق البصريين فعلى أن (إن) مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين « إن » المخففة المهملة « وإنْ » النافية فهل أخذ الكوفيون رأيهم عن الخليل ؟ أو لم يفش هذا الرأى فلم يسجله البصريون ولم يأخذوا به ؟

٢ ـــ جاء فى كتاب الجمل للزجاجى : وإذا لحق الاسم العلم المنادى التنوين فى ضرورة الشعر فمنهم من ينونه ويرفعه على لفظه . وهو مذهب الخليل وأصحابه

(٧٣) المقتضب للمبرد ٢ : ٣٦٤ والآية رقم ٦٣ من سورة طه
(٧٤) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣ : ٤٣
(٧٥) الجمل : ١٣٤
(٧٦) انظر البحر المحيط ٦ : ٢٥٥

ومنهم من ينونه وينصبه ... وكذلك أنشدوا بيت الأحوص :

سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطر السلام

هذه رواية الخليل وأصحابه بالرفع والتنوين »[٧٧] .

وجاء فى كتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد : « وأما قول الآخر :

سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطر السلام

فإنه نون « مضطرا » اضطرارا ... ويروى بالنصب منونا[٧٨] .

فما نسبه الزجاجى للخليل وارد فى كتاب الجمل المنسوب إليه .

ثالثا : الآراء الواردة فى كتاب الجمل ولم تنسب للخليل فى كتب النحو :

أما ماجاء فى كتاب الجمل من آراء لم تنسب إلى الخليل فى كتب النحو فهى :

١ ـ علامات الإعراب :

أ ـ علامات الرفع : يقول المصنف : « وعلامة الرفع ستة أشياء : الضمة ، والواو ، والفتحة ، والألف ، والنون ، والسكون ، فالضم : عبدُ الله ، وزيدٌ . والواو : أخوك ، وأبوك . والفتحة : عبدَا الله فى الاثنين . والألف فى قولهم . الزيدان، والقمران ، والنون فى يقومان ، ويقومون ، والسكون فى يرمى ويقضى ويغزو ، ويخشى »[٧٩] .

والغريب فى هذه العلامات علامتان الأولى : الفتحة ، وقد جعلها المصنف علامة لرفع الاسم المثنى المضاف ومثل لذلك بقوله : عبدَا الله . ولست أدرى لِمَ فرق بين المثنى المضاف والمثنى غير المضاف ؟ والعلامة الثانية : السكون علامة لرفع الفعل المضارع المعتل الآخر وقد مثل لذلك بقوله : يرمى ، ويقضى ، ويغزو ، ويخشى .

ب ـ علامات الجزم : يقول المصنف : وعلامات الجزم خمس : السكون ،

(٧٧) الجمل للزجاجى : ١٥٤ ، ١٥٥

(٧٨) الجمل : ٥٣

(٧٩) الجمل : ١١٧

والضمة ، والكسرة ، والفتحة ، وإسقاط النون . فالسكون : لم يخرج ، والضمة لم يدعُ ولم يغزُ ، والكسرة : لم يقض ولم يرم ، والفتحة : لم يتهادَ ، ولم يتصابَ ، وسقوط النون : لم يخرجا فى الاثنين ولم يخرجوا فى الجمع »[٨٠] .

وقد استعمل المصنف كلمة « الوقف » وهو يريد « السكون » فى موضع آخر[٨١] ، والغريب فى هذه العلامات ثلاث : هى الضمة والكسرة والفتحة إذ جعلها علامات لجزم الفعل المضارع المعتل الآخر ، وساق أمثلة لها .

أما علامات الجر فلا غريب فيها ، وأما علامات النصب فلم يذكر شيئا منها ونلاحظ أن المصنف لم يتحدث عن علامات مقدرة وأخرى ظاهرة ، كما لم يتحدث عن علامات إعراب المقصور والمنقوص ولا المضاف لياء المتكلم فكل العلامات عنده ظاهرة فالفعل المضارع المعتل الآخر علامة رفعه السكون وعلامة جزمه الضمة أو الكسرة ، أو الفتحة السابقة على حرف العلة المحذوف ويقول : وربما تركت الواو والياء فى موضع الجزم استخفافا »[٨٢] .

قد يشير ذكر هذه العلامات غير المألوفة عند النحويين منذ سيبويه إلى أنها تمثل مرحلة ماقبل استقرار مفهوم علامات الإعراب وتعيينها ، ذلك المفهوم الذى مدّ رواقه مع كتاب سيبويه . ولايلزم من ذلك بالضرورة تقدم المصنف على سيبويه ولكنها تشعر بأن الاحتمال قائم إذ لو كان المصنف بعد سيبويه لمثل لونا من الخروج على ماشاع واستقر ، ولانتقد ذلك الصنيع وذاع أمره .

وقد تقبل هذه الغرابة فى علامات الإعراب من الخليل بن أحمد وهو الذى حكى عنه مصطلحات لم تنسب لغيره على ماذكره الخوارزمى[٨٣] ، كإطلاقه الرفع على مايقع فى أعجاز الكلام منونا ، وإطلاقه الضم على مايقع فى إعجاز الكلم غير منون ، وإطلاق التوجيه على مايقع فى صدور الكلم كما فى عين

---

(٨٠) الجمل : ١٩٠

(٨١) الجمل : ٢٠٢

(٨٢) الجمل : ٢٠٣

(٨٣) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ٦٥ : ٦٦ تحقيق ابراهيم الابيارى .

« عمر » . ومن مصطلحات الحركات التى نسبها الخوارزمى للخليل أيضا الحشو ، والقعر ، والتفخيم ، والإرسال ، والتيسير ، وكذلك تفريقه بين الخفض والكسر والإضجاع والجر ، وكتفريقه بين الجزم والتسكين والتوقيف إلى آخر ماذكر الخوارزمى .

حقا لم نجد أثراً لهذه المصطلحات فى كتاب الجمل ولكن نشعر بأن الغرابة فيما ينسب للخليل قائمة ومتقبلة .

٢ ــ جواز رفع ونصب خبر « ما » إذا تقوم على اسمها :

جاء فى الجمل : « وإذا قدموا خبر « ما » كان فى تقديم الخبر رفع ونصب . الرفع : ماقائم زيد ، والنصب ماقائما زيد . فالرفع على الابتداء وخبره والنصب على تحسين الباء قال الشاعر :

فمـا حسنٌ أن يمدح المرء نفسه ولكــنَّ أخلاقـــا تذم وتمدح

وينصـب »(٨٤)

وقال سيبويه : فإذا قلت مامنطلق عبد الله أو ماسيىء من أعتب ، رفعت ولايجوز أن يكون مقدما ومؤخرا ... ثم قال : وزعموا أن بعضهم قال وهو الفرزدق :

فأصبحـوا قد أعـاد الله نعـمتهم إذ هم قريش وإذ مامثلَهـم بشر

ولايكاد يعرف »(٨٥) .

فمصنف كتاب الجمل يجيز الرفع والنصب ، أما سيبويه فلا يجيز النصب ويقرر أن النصب لايكاد يعرف . وقد نقول لو كان جواز الرفع والنصب جائزا عند الخليل لذكر ذلك سيبويه ونسبه إليه . ولكن هل هناك مايمنع أن يكون ذلك رأيا للخليل ولم يقف سيبويه عليه أو وقف عليه ولم يشر إليه تصريحا واكتفى بقوله : « وزعموا أن بعضهم قال » « ولايكاد يعرف » فهذا التعليق من سيبويه يشعر بأنه وقف على رأى يجيز النصب .

(٨٤) الجمل : ٣٦١

(٨٥) كتاب سيبويه ١ : ٥٩ ، ٦٠

وقد قال السيوطى : « وجوز الفَرَّاء نصبه مطلقا نحو ماقائما زيد ، وجوزه الأخفش مع إلا نحو ماقائما إلا زيد ، وحكى الجرمى أن ذاك لغية سُمع : مامسيئا من أعتب »(٨٦) . وفى نسبة جواز النصب للفراء نظر ، إذ بالرجوع إلى معانى القرآن للفرَّاء ثبت غير ذلك ، يقول الفراء : « وإذا قدمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل فقلت : ماسامع هذا ، وماقائم أخوك »(٨٧) .

٣ ـ أصل « الذى » « ذو »

جاء فى الجمل : وأصل « الذى » « ذو » كما قال الشاعر :

إذا ماجنـى لم يستشرنى بذوجَنَـى   ولـيس يُعَـرِّنى الـذى هو قارف

يعنى بالذى جنى ومثله قول الآخر :

فإن بيت تميم ذو سمعت بـه   فيـه تنـمَّتْ وعـزت بينها مضرُ

ذو سمعت أى : الذى سمعت . وقال آخر :

إذا مأتى يومٌ يفـرق بيننـا   بموتٍ فكـن ياوهـمَ ذو يتأخـرُ

أى الذى يتأخر .

ثم أدخلوا على (ذو) الألف واللام للتعريف ، ويلزم الباء ، كما ألزمت الكسرة فى هؤلاء فى كل وجه »(٨٨) .

فالمصنف هنا يرى أن أصل الذى هو ذو ، ثم تحولت إلى الذى ومذهب البصريين أن أصل الذى هو (لذى) على وزن عمى وشجى . وذهب الفراء إلى أن أصل « الذى » هو « ذا » وذهب غيره من الكوفيين إلى أن أصل الذى الذال وحدها(٩٠) . ثم يأتى السهيلى (ت ٥٨١) فيذهب إلى مايتضمن الرأى الوارد فى كتاب الجمل المنسوب للخليل فيرى أن الأصل هو (ذو) التى بمعنى صاحب

(٨٦) همع الهوامع ١ : ١٢٤

(٨٧) معانى القرآن للفراء ٢ : ٤٣

(٨٨) الجمل : ١٦١

(٨٩) انظر الأزهية فى علم الحروف للهروى : ٢٩١ ، ٢٩٣.

(٩٠) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢ : ٣٥٧ الطبعة الثالثة وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٣ : ١٣٩ وانظر همع الهوامع ١ : ٨٢

ثم استعملت وصلة إلى وصف النكرات بالأجناس ، ولما أرادوا وصف المعارف بالجمل لم يتمكنوا لأن الجمل نكرات فجاءوا بالوصلة التى توصلوا بها إلى وصف النكرة بالأجناس وهى (ذو) ثم استعملت (ذو) وصلة لوصف المعارف بالجمل فى مثل هذا زيد ذو قام أبوه وذو وجهه حسن وهى لغة طيىء ، ثم دخلت عليها الألف واللام للتعريف لأنها نعت للمعرفة ، ثم قلبت الواو من (ذو) ياء حتى لاتنتهى الكلمة بواو مضموم ماقبلها وقلبت ضمة الذال كسرة لمجانسة الياء[٩١] . والغريب أن كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد قد خلا كلٌ منهما من بيان أصل « الذى » .

٤ ــ تصغير « بيت » « بيت » :

جاء فى الجمل : « فإذا صغرت قلت : صُوَيْت ، وقويت ، وبُوَيْت »[٩٢] .

والمعروف أن مذهب البصريين فى تصغير بيت بييت . وقد نص على ذلك سيبويه فى قوله : « هذا باب تحقير كل اسم كان ثانيه ياء ثبتت فى التحقير ، وذلك نحو بيت ، وشيخ ، وسيّد . فأحسنه أن تقول : شُيَيْخ وسُيَيْد فتضم ، لأن التحقير يضم أوائل الأسماء وهو لازم له كما أن الياء لازمة له ومن العرب من يقول شِيَيْخ ، وبِيَيْت وسِيَيْد »[٩٣] وقال المبرد : « وفى بيت بُيَيْت وبِيَيْت »[٩٤] ، فالياء ثابتة ، أما قلبها واوا فى « بويت » فهو جائز عند الكوفيين شاذ عند البصريين[٩٥] .

٥ ــ أصل « هو » الهاء وحدها .

جاء فى الجمل : « وهو قالوا : هو قائم . فالهاء وحدها اسم والواو علامة الرفع وقالوا هما ، فحذفوا الواو الزائدة وأتوا بالميم لما كانت من الزوائد وكرهوا أن يعربوه من وجهين »[٩٦] .

(٩١) انظر نتائج الفكر للسهيلى : ١٧٧ ، ١٧٨ تحقيق د محمد إبراهيم البنا .
(٩٢) الجمل ٢٧٩
(٩٣) كتاب سيبويه : ٣ : ٤٨١
(٩٤) المقتضب ٢ : ٢٧١
(٩٥) انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٦
(٩٦) الجمل ٢٦٦

والوارد فى كتب النحو أن القائلين بأن الضمير هو الهاء وحدها وأن الواو زائدة هم الكوفيون وعلى رأسهم الفراء. قال الزجاجى : « وقال الفراء : إذا قلت « هو » فالهاء هى الاسم والواو صلة »(٩٧) . وقال ابن الأنبارى : « ذهب الكوفيون إلى أن الاسم من « هو » و « هى » الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أن الهاء والواو من « هو » ، والهاء والياء من « هى » هما الاسم بمجموعهما »(٩٨) . وقال السيوطى : « وقال الكوفيون والزجاج وابن كيسان الضمير من هو وهى الهاء فقط والواو والياء زائدتان »(٩٩) . ولكن نسب أبو جعفر النحاس للخليل مايفيد زيادة الواو فى (هو) فقال فى قراءة من قرأ : (فيهو هدى) : « الاسم الهاء وزيدت الواو عند الخليل لأن الهاء خفية فقويت بحرف جلد متباعد منها »(١٠٠) .

٦ ـــ رافع الفعل المضارع هو حرف المضارعة :

جاء فى الجمل : « وتقول من يزرنى فأكرمُه ، وإن تزرنى فأزورك . رفعت أكرمه وأزورك لأن الفاء التقفت الجواب فارتفع الجواب وارتفع أكرمه بالألف الحادثة فى أوله »(١٠١) .

والمراد بالألف الحادثة فى أوله همزة المضارعة . وهذا الرأى منسوب للكسائى قال ابن يعيش :« وذهب الكسائى منهم أيضا إلى أن العامل فيه الرفع ماق أوله من الزوائد الأربع »(١٠٢) .

٧ ـــ زيادة الواو :

جاء فى الجمل : « وواو الإقحام مثل قول الله عز وجل : (إن الذين ويصدون

---

(٩٧) مجالس العلماء للزجاجى : ١٠٥ . والمراد بالصلة : الزائد
(٩٨) الانصاف فى مسائل الخلاف ٢ : ٣٥٨ المسألة رقم ٩٦
(٩٩) همع الهوامع ١ : ٦٠ ، ٦١
(١٠٠) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١ : ١٧٩ ، ١٨٠
(١٠١) الجمل : ٢٠٠
(١٠٢) شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ١٢

عن سبيل الله)[١٠٣] معناه : يصدون . والواو فيه واو إقحام »[١٠٤] ثم ذكر بعض آيات أخرى وشاهدا من الشعر وقال : « فأدخل الواو حشوا وإقحاما . ومثله قول الله عز وجل : (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا)[١٠٥] معناه : ناديناه والواو حشو على ماذكر سيبويه النحوى »[١٠٦] .

وعبر المصنف هنا عن الواو الزائدة بأنها واو الإقحام كما سماها حشواً ، ولنا ملاحظات على هذا النص :

أولا : القول بزيادة الواو فى هذه المواضع وأشباهها هو قول الكوفيين ، وذهب إلى ذلك من البصريين أبو الحسن الأخفش وأبو العبَاس المبرد وأبو القاسم ابن بَرْهَانَ[١٠٧] ، ولم أقف على من نسب إلى الخليل القول بزيادة الواو وإقحامها .

ثانيا : التعبير بواو الإقحام غير وارد فى كتاب سيبويه وحديثه مع الخليل بنفى أن أيا منهما كان يقول بزيادة الواو أو إقحامها . قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله جل ذكره : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) أين جوابها ؟ وعن قوله جل وعلا .... فقال : إن العرب قد تترك فى مثل هذا الخبر فى كلامهم لعلم المخبر لأى شيء وضع هذا الكلام »[١٠٨] ولو كانت الواو زائدة لعد مابعدها هو الجواب .

ثالثا : قول المصنف : « معناه ناديناه والواو حشو على ماذكر سيبويه النحوى » يشعر بأن سيبويه كان يقول بزيادتها فى قوله تعالى : وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا » وقد أحال محقق الكتاب إلى موضع الآية فى كتاب سيبويه وكأن هذه الإحالة توثيق لما جاء فى كتاب الجمل . والحق أن سيبويه لم يعرض فى هذا الموضع لزيادة الواو وإنما عرض لأن المفسرة فى باب « ماتكون فيه أنْ بمنزلة

---

(١٠٣) سورة الحج آ : ٢٥

(١٠٤) الجمل : ٢٨٨

(١٠٥) سورة الصافات الآيات : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

(١٠٦) الجمل : ٢٨٨

(١٠٧) انظر الإنصاف ٢ : ٢٤٣

(١٠٨) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٣ هارون

أىْ » وبين أن « أنْ » فى الآية الكريمة مخففة من الثقيلة ، وأنّ الخليلأجازكونها مفسرة بمعنى « أى » فقال : « ومثل ذلك (وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) كأنه قال : ناديناه أنّك قد صدقت الرؤيا ياإبراهيم . وقال الخليل تكون أيضا على أى »[١٠٩] .

رابعا : إذا رجعنا إلى معانى القرآن للفراء نجده لايقول بزيادة الواو ولاباقحامها فى الآية الأولى وهى قوله تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) بل عدها عاطفة فقال وقوله : إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) رُدَّ يفعلون على فعلوا »[١١٠] وقد جعل الفراء الواو فى قوله تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين) فى جواب لما[١١١] .

ومن الملاحظ أن ماذكره صاحب الإنصاف من أن المبرد ذهب إلى زيادة الواو مخالفا البصريين متناقض مع ماجاء فى المقتضب للمبرد فقد نص المبرد على عدم زيادتها فقال : « وقال قوم آخرون : الواو فى مثل هذا تكون زائدة فقوله : (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) يجوز أن يكون (إذا الأرض مدت) والواو زائدة ... ومن قول هؤلاء : إن هذه الآية على ذلك (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) قالوا المعنى ناديناه أن ياإبراهيم ... ثم يقول : « وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين . والله أعلم بالتأويل »[١١٢] .

ومعنى هذا أن النحويين نسبوا للمبرد رأيا مناقضا لما صرح هو به فى كتاب المقتضب ولم يقدح ذلك فيما جاء به . فتناقض ماتنسبه كتب النحو لأشخاص بأعينهم مع مايرد فى كتب هؤلاء الأشخاص أمر محتمل . وهذا يسمح لنا بأن نسأل : هل يعد ماجاء فى كتاب الجمل كان يمثل رأى الخليل وإن لم يثبت فى كتاب سيبويه ، وكان هذا الرأى موضع بحث لمن أتوه بعده كسيبويه والأخفش والفراءوالمبرد وابن بَرْهَان ، ثم نجد الأمر فى خلاف بين البصريين والكوفيين ، ولما

(١٠٩) كتاب سيبويه ١ : ٤٨٠ بولاق
(١١٠) معانى القرآن للفراء ٢ : ٢٢٠
(١١١) انظر المرجع السابق ٢ : ٢٢١
(١١٢) المقتضب ٢ : ٨٠

كان الخليل شيخ البصريين ذاب رأيه فى آرائهم ؟

على أية حال فهل نستطيع بعد بيان هذه الصلة بين مافى كتاب الجمل من آراء وماجاء فى كتاب العين ، ومانسبه سيبويه للخليل بن أحمد من آراء حول آيات وأبيات سأل عنها سيبويه الخليل ، وبعدما تبينا الاتفاق فى أسلوب التعليق على تلك الآيات والأبيات أن نقول : إن مافى كتاب الجمل يمثل حقا فكر الخليل وأسلوبه وقد وعاهما عنه تلميذه سيبويه ، فنميل إلى التسليم بصحة نسبة كتاب الجمل إلى الخليل ؟ أعتقد أن الجواب بالإيجاب . ويعزز هذا القول والميل اتفاق مانسبه كل من المبرد وأبى جعفر النحاس للخليل من قراءة: (إنْ هذان لساحران) بتخفيف الهمزة . وهذه القراءة منصوص عليها فى كتاب الجمل بقوله : « وأنا أقرؤها مخففة » .

أما الآراء الواردة فى كتاب الجمل ولم نرها فى كتاب النحو منسوبة للخليل فهى لاتقدح ــ فى نظرنا ــ فى صحة نسبة الكتاب للخليل إذ هى كفة مرجوحة أمام مابيناه من الاتفاق فى الآراء الأخرى فمعظم آراء الخليل وصلت إلينا عبر كتاب سيبويه ومما لاشك فيه أن للخليل آراء أخرى لم يسجلها سيبويه فى كتابه إما لعدم علمه بها ، وإما لأنه لم يكن فى حاجة إلى عرضها ، وإما لأنه لم يطمئن إليها ولم يأخذ بها .

الفصل الثالث

العنوانات والمصطلحات

العنوانـات

يختار المصنف العنوانات الداخلية لكتابه فى إطار الغاية التى يريد إبرازها وتحقيقها فى مصنفه ، ولما كانت غاية مصنف كتاب الجمل بيان وجوه الإعراب جاءتِ عنواناته فى هذا الإطار ، فبيان وجوه الإعراب يختلف اختلافا دقيقا عن ذكر المنصوبات والمرفوعات والمجرورات والمجزومات ، ويختلف أيضا عن ذكر عوامل النصب وعوامل الرفع وعوامل الجر وعوامل الجزم . ولذلك اختلف هذا الكتاب فى عرضه لمسائل النحو عن المصنفات الأخرى القائمة على المعمولات ، والقائمة على العوامل ، فجعل وجوه النصب واحدا وخمسين وجها ، وجعل وجوه الرفع اثنين وعشرين وجها ، وجعل وجوه الخفض تسعة أوجه ووجوه الجزم اثنى عشر وجها . ولم يتقيد بالوظائف النحوية المقتضبة عرض المسائل فى أبواب ، فجاءت عنواناته أحيانا مرتبطة بالعامل « كالنصب بإن وأخواتها » ، و « النصب بخبر كان وأخواتها » ، « والنصب بحتى » ، وجاءت أحيانا مرتبطة بالأبواب النحوية « كالرفع بالفاعل » ، و « مالم يذكر فاعله » ، « والمبتدأ وخبره » ، و « اسم كان » و « خبر إن » ، « والنداء المفرد » وجاءت أحيانا مرتبطة بالدلالة « كالنصب بالإغراء » و « النصب بالتحذير » ، و « النصب بالذم » و « النصب بالترحم » و « النصب بالاختصاص » ، و « النصب بالصرف » ، و « النصب بالقطع » و « النصب بالتحثيث » .

ولايصدر المصنف عنواناته بكلمة باب كما فعل سيبويه ، ولم يصدرها بكلمة فصل إلا فى الموضعين الأخيرين من الكتاب وسبق الإشارة إلى ذلك فى حديثنا عن وحدة الكتاب فى الفصل الأول .

وقد اعتاد المصنف أن يصل العنوان بالشرح بقوله[1] : « كقولك » أو « قولهم » أو « تقول » أو « مثل قول الله تبارك وتعالى » ، « ومثل قولهم » . وهذه

(١) انظر الجمل ٣٧ ، ٧١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ على سبيل المثال .

السمة فاشية فى كتاب سيبويه إذ يبدأ بعد العنوان بعبارات مشابهة لما نجده فى كتاب الجمل المنسوب للخليل فيقول[٢] : « وذلك قولك » أو « تقول » أو « وذلك قول العرب » ، أو « وذلك قول بعض العرب » أو « ومن ذلك قولهم » أو « ومن ذلك قوله تعالى » .

وقد خلا كتاب الجمل من ربط العنوانات بالشرح بكلمة « اعلم » إلا فى موضع بآخر الكتاب أشرنا إليه فى الفصل الأول ، مع فشو كلمة اعلم فى كتاب سيبويه[٣] وشيوعها فى المقتضب[٤] وفى الجمل للزجاجى[٥] .

كما اقتضى تصنيف كتاب الجمل القائم على بيان وجوه الإعراب وتفسيرها أن تكون العنوانات جزئية لأنه يعرض هذه الوجوه وجها وجها ولايتناول أبوابا نحوية ، فقد كان يمكن الجمع بين كثير من المسائل المتفرقة ذات العنوانات الجزئية وعلى سبيل المثال يمكن أن نقول إن العنوانات الآتية : « النصب بالنداء المضاف »[٦] ، و « النصب الذى يقع فى النداء المعرفة »[٧] و « النصب من نداء النكرة الموصوفة »[٨] ، و « الرفع بالنداء المفرد »[٩] ، كلها تندرج تحت عنوان باب واحد هو باب النداء . وكذلك « النصب على الحال »[١٠] ، و « النصب

(٢) انظر كتاب سيبويه ١ : ٦٦ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ٤١٢ ، ٢ · ٢١٨ ، ٧٠ ، ٣٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٥ ، على سبيل المثال .

(٣) انظر كتاب سيبويه : ٢ : ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢٨٨ ، ٣٦٨ ، ١٥٦ ، ٣٩٨ ، ٢٧٦ ، ٣٥٠ ، على سبيل المثال .

(٤) انظر المقتضب للمبرد : ٢ : ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٣١٨ ، ٣ : ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٧٦ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣٢٤ ، على سبيل المثال .

(٥) انظر الجمل للزجاجى : ٦٦ ، ٦٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣ ، ٣٣٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٠ على سبيل المثال .

(٦) الجمل : ٧٧ .

(٧) السابق · ٨٣

(٨) السابق : ٥٢

(٩) السابق : ١٣٧

(١٠) السابق : ٤٠

من القطع »[11] ، و « النصب على الاستغناء وتمام الكلام »[12] ، و « النصب بوحده »[13] و « النصب من نعت النكرة تقدم على الاسم »[14] . كلها تندرج تحت عنوان باب واحد هو باب الحال . ولكن هذه العنوانات الجزئية تلائم التتبع للوجوه وتناسب التصنيف النحوى المبكر — فى تصورنا — لما فيه من تتبع للجزئيات التى تحولت بعد ذلك وصبت فى أبواب تندرج تحتها هذه المسائل الجزئيةَ .

وهذا التناول الجزئى والعنوانات الجزئية ظاهرة بادية فى كتاب سيبويه وإن اتسم كتاب سيبويه بطول العنوانات لكنه يتناول جزئيات أيضا . والصلة بين عنوانات كتاب سيبويه وكتاب الجمل المنسوب للخليل قوية ولنتأمل العنوانات الآتية من الكتابين :

١ — فى الجمل : « النصب من المصدر »[15] يريد مايعرف بالمفعول المطلق .
عند سيبويه : « هذا باب مايكون فيه المصدر توكيدا لنفسه »[16] يريد المفعول المطلق .

٢ — فى الجمل : « النصب بالاستفهام » قولهم أقعودا والناس قيام[17] . وأدرج المصنفُ تحت العنوان المصدر وغيره : أقعودا ، أطرباً ، ألؤما ، أقرشيا .
عند سيبويه : « أماما ينصب فى الاستفهام من هذا العدد فقولك أقياما يافلان والناس قعودا »[18] وجعل ذلك فى إطار باب تناول فيه نصب المصدر فى الخبر والاستفهام : أقياما ، أطربا ، ألؤما . ثم عقد باباً عنوانه هذا باب ماينتصب من الأسماء التى أُخذت من الأفعال ، انتصاب الفعل استفهمت أو لم تستفهم ، ثم عقد بابا آخر بعنوان :

(١١) السابق : ٣٨
(١٢) السابق : ٧٩
(١٣) السابق : ١١٤
(١٤) السابق : ٧٥
(١٥) الجمل : ٣٧
(١٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٨٠
(١٧) الجمل : ٨٧
(١٨) كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨

« هذا باب ماجرى من الأسماء التى لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أخذت من الفعل » .

٣ ــ فى الجمل : « النصب بالمدح »[١٩]

عند سيبويه : ماينتصب على التعظيم والمدح[٢٠] .

٤ ــ فى الجمل : « النصب بالذم »[٢١] .

عند سيبويه : « مايجرى من الشتم مجرى التعظيم »[٢٢]

٥ ــ فى الجمل : « النصب بالترحم »[٢٣]

عند سيبويه : « ومن هذا الترحم »[٢٤]

٦ ــ فى الجمل : « النصب بالاختصاص »[٢٥]

عند سيبويه : هذا باب من الاختصاص »[٢٦]

٧ ــ فى الجمل : « النصب من المصادر التى جعلوها بدلا من اللفظ الداخل على الخبر والاستفهام . قولهم أنت سيراً سيراً ومأأنت إلا السيرَ السيرَ »[٢٧]

عند سيبويه : هذا باب ماينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره لأن يصير فى الإخبار والاستفهام بدلا من اللفظ بالفعل ، وذلك قولك مأأنت إلا سيرا وإلا سيرا سيرا .. »[٢٨] .

٨ ــ . فى الجمل : « النصب بالدعاء . قولهم تبا لهم وسحقا وترباله وجندلا »[٢٩] .

(١٩) الجمل : ٦١
(٢٠) كتاب سيبويه : ٢ : ٦٢
(٢١) الجمل : ٦٣
(٢٢) كتاب سيبويه ٢ : ٧٠
(٢٣) الجمل : ٦٤
(٢٤) كتاب سيبويه : ٢ : ٧٤
(٢٥) الجمل : ٦٦
(٢٦) كتاب سيبويه ٢ : ٢٣٣
(٢٧) الجمل : ١١٥
(٢٨) كتاب سيبويه ١ : ٣٣٥
(٢٩) الجمل : ٨٦

وجعل المصنف تحت هذا العنوان المصادر مثل سحقا ، والأسماء مثل تربا وجندلا ، والصفات مثل هنيئا .

عند سيبويه : « هذا باب ماجرى من الأسماء مجرى المصادر التى يدعو بها . وذلك قولهم تربا وجندلا »[30] وقد جعل سيبويه للمصادر بابا أورد فيه سقيا ورعيا . وبابا آخر للصفات المدعو بها أورد فيه هنيئا مريئا .

٩ — فى الجمل : « النصب بإضمار كان . قولهم : فعلت ذاك إن خيرا وإن شرا »[31] .

عند سيبويه : « هذا باب مايضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف . وذلك قولك الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر »[32] » .

١٠ — فى الجمل : « الرفع بشكل النفى »[33] .

عند سيبويه : « هذا باب ماجرى على موضع النفى لا على الحرف الذى عمل فى المنفى »[34] .

١١ — فى الجمل : « الجزم بالمجازاة وخبرها »[36] .

عند سيبويه : « هذا باب الجزاء »[37] . « وهذا باب الأسماء التى يجازى بها »[37] .

١٢ — فى الجمل : « الماء التى تقع على المذكر والمؤنث »[38] .

عند سيبويه : « هذا باب المؤنث الذى يقع على المذكر والمؤنث »[39] .

(٣٠) كتاب سيبويه ١ : ٣١٤ ، ٣١٥

(٣١) الجمل : ١١١

(٣٢) كتاب سيبويه : ١ : ٢٥٨

(٣٣) الجمل : ١٦٥

(٣٤) كتاب سيبويه ١ : ٢٩١ ، ٢٩٢

(٣٥) الجمل : ١٩٤

(٣٦) كتاب سيبويه ٣ : ٥٦

(٣٧) نفسه

(٣٨) الجمل : ٢٧٠

(٣٩) كتاب سيبويه ٣ : ٥٦١

ولا أريد الاستطراد فى ذكر نماذج لأوجه الشبه فى العنوانات وللتقارب فى صياغتها وبيان مايندرج تحتها من مسائل حتى لاتكثر النصوص من الكتابين . ومما لاشك فيه أن هذا التشابه وذلك التقارب الجلى بين ماسقنا من عنوانات الكتابين يشعر بالصلة الوثيقة بين مصنف كتاب الجمل وسيبويه ، وهى على مايبدو لى ليست صلة نقل بين كتابين إنما أشعر أنها صلة معلم بتلميذه أفاد التلميذ من معلمه ففصل ماأجمل وبسط مااختصر . وأود أن يكون فى درسنا للمصطلح فى الصفحات القادمة مايكشف اللثام عن أمور تصل بنا إلى مايقربنا من الحقيقة .

المصطلحات

لاتصبح الكلمة أو التركيب مصطلحات فى علم إلا إذا تواطأ المعنيون بهذا العلم على استعمال هذه الكلمة أو ذلك التركيب فى مجال تخصصهم ولايعنى ذلك بالضرورة اجتماعهم ليتم هذا الاتفاق أو ذاك التواطؤ ، وإنما الشيوع فى الحوار والتصنيف العلمى هو دليل الاتفاق والتواطؤ وقد تضيق دائرة الشيوع وقد تتسع ، وقد يطرأ على المصطلح فى دائرته تطور ، وقد يصاب بجمود ، وقد يشيع المصطلح فى عصر على أقلام المصنفين ، وقد يذبل ويموت ليحل محله مصطلح آخر لعوامل متعددة ليس المقام مقام عرضها ، وتبقى كتب القدماء ومصنفاتهم مرجعا لهذه المصطلحات فى دلالاتها وتاريخها ، وقد تعين دراسة المصطلح على نسبة المصنَّف إلى عصره ، وقد يستضىء الباحث بالمصطلحات فى نسبة المصنَّف إلى صاحبه . ومن هنا كانت عنايتنا بتناول المصطلح فى كتاب الجمل المنسوب للخليل .

وسنعرض للمصطلحات المميزة لهذا الكتاب :

١ ــ الأخوات :

لقد عبر المصنف فى كثير من المواضع عن المتشابه من الحروف والأدوات والأفعال بكلمة الأخوات مثل إن وأخواتها ، وكان وأخواتها ، وهل وأخواتها ، وعن وأخواتها ، وحتى وأخواتها ، ومابال وأخواتها ، وساء وأخواتها ، والتعبير بهذا اللفظ من ألفاظ القرابة شائع فى كتب النحو ولكنه شبه خاص بنواسخ المبتدأ والخبر . وقد يبدو أن هذا الاستعمال لم يكن عند المتقدمين من النحويين ، والحق أنه استعمال قديم ظهر فى كتاب سيبويه فى قوله : « هذا باب الإضمار فيما جرى مجرى الفعل وذلك إن ولعلّ وليت وأخواتها »[٤٠] وفى قوله : « ومن ذلك قول العرب : لى عشرون مثلَه ، ومائة مثلِه فأجروا ذلك بمنزلة عشرين درهما ومائة

---

(٤٠) كتاب سيبويه ٢ : ٣٦٠ .

درهما ، فالمثل وأخواته كأنه كالذى حذف منه التنوين »[٤١] ، وفى قوله : « اعلم أن أنت وأخواتها لايكنّ علامات لمجرور »[٤٢] ، وفى قوله أيضا : « وذلك أفعل منه ومثلك وأخواتهما »[٤٣] .

وورد هذا الاستعمال أيضا عند الفراء ، فقال : فإن قلت إن العرب إنما تجعل العماد فى الظن لأنه ناصب ، وفى « كان » « وليس » لأنهما يرفعان وفى إن وأخواتها لأنهن ينصبن »[٤٤] .

ونعنى ببيان قدم التعبير بلفظ أخوات عند النحويين أن وروده فى كتاب الجمل المنسوب للخليل لايقدح فى نسبته إليه لما قد يتوهم من حداثة الاستعمال .

٢ ــ الإغراء :

جاء فى الجمل : والنصب من الإغراء قولهم : عليك زيدا ، ودونك عمرا ، ورويدك محمدا ، ورويدا عمرا . نصبته بالإغراء »[٤٥] ، ثم قال : « ويغرى بـ « كذاك » أيضا »[٤٦] .

أراد المصنف بالإغراء استعمال هذا النوع من أسماء الأفعال ، ولم أقف فى كتاب سيبويه على مايدل على استعمال هذا الاصطلاح إنما يتناول سيبويه هذه الصيغ تحت عنوان : هذا باب من الفعل سمى الفعل فيه بأسماء مضافة ليست من أمثلة الفعل »[٤٧] . ويقول أيضا : فأما مايتعدى المأموريه فهو قولك : عليك زيدا ، ودونك زيداً ، وعندك زيدا ، تأمره به . حدثنا بذلك أبو الخطاب »[٤٨] . كما لم أقف على اصطلاح الإغراء فى معانى القرآن للفراء ولافى المقتضب للمبرد . وإنما وجدته فى كتاب مقدمة فى النحو المنسوب لخلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ)

(٤١) كتاب سيبويه ١ : ٤٢٧
(٤٢) كتاب سيبويه ٢ : ٣٦٢
(٤٣) كتاب سيبويه ٢ : ٢٤
(٤٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٥١
(٤٥) الجمل : ٥٤
(٤٦) نفسه
(٤٧) كتاب سيبويه ١ : ٢٤٨
(٤٨) السابق ١ : ٢٤٩

فى قوله : باب التحذير والإغراء . وهو منصوب كله تقول : عليك نفسك ... »[٤٩] وظهر كذلك هذا الاصطلاح بهذا المفهوم عند الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) فى قوله : « اعلم أن من الأسماء أسماء أجريت مجرى الأفعال فى عملها فمنها مايتعدى ، ومنها مالايتعدى فمن المتعدى : عليك ودونك ، ومعناها الإغراء . تقول عليك زيداً »[٥٠] .

وظهور هذا الاصطلاح المرتبط بالدلالة فى كتاب الجمل المنسوب للخليل وعدم ظهوره عند سيبويه والفراء والمبرد ولايجعلنا نميل إلى أن يعد ذلك ثغرة تقدح فى نسبة الكتاب للخليل بل نقول : ولم لايكون هذا الاستعمال المرتبط بدلالة الأسلوب مبكرا قبل أن تستقر المصطلحات مرتبطة بالجانب التركيبى والعامل والمعمول والوظيفة النحوية .

٣ ــ ألف النفس :

أراد بها المصنف همزة المضارعة لأنها دالة على المتكلم ومثل لها بأضربُ وأخرجُ[٥١] وقد عبر عنها أبو بكر الأنبارى[٥٢] بألف المخبر عن نفسه وكذلك فعل الهروى[٥٣] والثعالبى[٥٤] .

٤ ــ البنية :

ورد هذا الاصطلاح فى كتاب الجمل فى أربعة مواضع ويريد به البناء المقابل للإعراب . قال فى الموضع الأول : « النصب على البنية . ماكان بناء بنته العرب مما لايزول إلى غيره مثل الفعل الماضى ومثل حروف إن وليت ولعل وسوف وأين وماأشبهه »[٥٥] وقال فى الموضع الثانى : الرفع بالبنية مثل حيث وقط لايتغيران عن

(٤٩) مقدمة فى النحو : ٨١ ، ٨٢

(٥٠) الواضح فى علم العربية : ١١٨

(٥١) الجمل : ٢٣٩

(٥٢) الألفات لأبى بكر الأنبارى : ٢٧

(٥٣) الأزهية للهروى : ٢٥

(٥٤) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى : ٢٢٦

(٥٥) الجمل : ٨٥

الرفـع على كل حال وكذلك قبل وبعد إذا كان على الغاية »[٥٦] وقال فى الموضع الثالث : الخفض بالبنية ... مثل قطامِ ودراكِ ونزالِ وحذامِ وبدادِ ورقاشِ لاتزول هذه الأسماء عن الخفض إلى غيره من غير تنوين »[٥٧] وقال فى الموضع الرابع : الجزم بالبنية مثل : مَنْ ، وما ، ولم ، وأشباهها لايتغير إلى حركة[٥٨] .

ولم أجد هذا الاستعمال فى غير هذا الكتاب ، وهو يشعر بأنه استعمال مبكر أيضا إذ لو لم يكن مصنف الكتاب من الرواد الأوائل مااحتاج إلى مثل هذا الاستعمال ولوجد كلمة المبنى والبناء مستقرة متعارفا عليها بين النحويين بعد سيبويه .

٤ ـــ التحثيث :

يستعمل المصنف هذا الاصطلاح المرتبط بالدلالة ولم أره لغيره فيقول : « وأما التحثيث فهو فى معنى المصدر إلا أنك تلحق به ألفا ولاما للمعرفة وتحث عليه نحو قولك الخروج الخروج والسير السير »[٥٩] .

وبهذا فرق المصنف بين النصب بالإغراء ، والنصب بالتحثيث .

٥ ـــ الحال : « النصب من الحال » :

مع أن اصطلاح « الحال » شائع فى كتب النحو منذ سيبويه لكن مصنف الجمل يخصه بما كان صاحب الحال فيه ضميرا وهذا التخصيص يتضح من الأمثلة التى ساقها ومن استعماله اصطلاحاً آخر هو « القطع » لما كان صاحب الحال فيه غير ضمير . وسيأتى تفصيل ذلك فى عرضنا لاصطلاح القطع . ومن الأمثلة التى ساقها قوله : « والنصب من الحال قولهم أنت جالسا أحسن منك قائما أى فى حال جلوسه أحسن منه فى حال قيامه . قال الشاعر :

لعمـرك إنى واردا بعـــد سبعـــة ... لأعشى وإنى صادرا لبصير

(٥٦) السابق : ١٤٨

(٥٧) السابق : ١٧٨

(٥٨) السابق : ٢٠٥

(٥٩) الجمل : ١١٥

أى فى حال ورودى لأعشى وحال صدرى بصير »[٦٠] ومن الأمثلة التى ساقها : « قدمت راكبا ، وانطلقت ماشيا ، وتكلمت قائما »[٦١] .

وهذا التخصيص يرجع إلى العناية بالجزئيات عند تتبعها وتفسيرها واختيار مايدل عليها من مصطلحات وهى سمة قديمة تناسب المرحلة المبكرة فى التأمل النحوى .

٦ ـــ خبر المعرفة وخبر النكرة :

يرد هذان الاصطلاحان فى كتاب الجمل ويريد المصنف بخبر المعرفة الحال ، وبخبر النكرة النعت فيقول : وأما « هذا » وأشباهه فهم ينصبون بها خبر المعرفة ، ويرفعون خبر النكرة »[٦٢] ، ويقول أيضا : وأما قوله تبارك وتعالى فى « قٓ » : (هذا مالدىّ عتيد) رفع عتيدا لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شىء عتيد عندى »[٦٣] .

وقد جاء الاصطلاحان فى مقدمة خلف الأحمر فى قوله : تقول : هذا عبد الله مقبل ، وذا إشارة ، وعبد الله مرفوع ، ومقبلا منصوب لأنه خبر المعرفة وخبر المعرفة منصوب أبدا ... وأما خبر النكرة فإنه تبع لها كقولك هذا رجل مقبل ، وهذا رجل راكب »[٦٤] .

وقد ورد فى كتاب سيبويه « خبر المعرفة » مرادا به الحال فقال : « واعلم أن ماجرى نعتا على النكرة فإنه منصوب فى المعرفة لأن مايكون نعتا من اسم النكرة يصير خبرا للمعرفة »[٦٥] وقال أيضا : واعلم أن كل شىء كان للنكرة صفة فهو للمعرفة خبر »[٦٦] . وكثيرا ماأستعمل سيبويه الخبر مريدا به الحال[٦٧] .

(٦٠) الجمل : ٤٠ ، ٤١ .
(٦١) السابق : ٤١ .
(٦٢) السابق : ١٧٠ .
(٦٣) السابق : ٤٠ والآية رقم ٢٣ من سورة قٓ .
(٦٤) مقدمة خلف الأحمر : ٦٦ .
(٦٥) كتاب سيبويه ٢ : ٣٣
(٦٦) السابق : ٢٠٠ : ٨
(٦٧) السابق انظر ٢ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢

فخبر المعرفة وخبر النكرة يعدان من المصطلحات القديمة فى فترة ماقبل استقرار المصطلح النحوى فلا عجب إذا ظهرت فى كتاب ينسب للخليل بل العجب لو نسب لغيره من علماء القرن الرابع كابن شقير .

٧ ــ الخفض بالجوار :

جعل المصنف هذا عنوانا لوجه من وجوه الخفض[٦٨] ، ويريد بذلك اتباع الاسم للاسم المجرور السابق عليه مباشرة وهو ليس نعتا له . وقد عبر سيبويه عن هذا المفهوم بقوله : « وقد حملهم قرب الجوار على أن يجروا : هذا حجر ضب خرب ونحوه »[٦٩] . ولم يرد هذا المصطلح فى معانى القرآن للفراء ولكن وردت إشاعة بهذا المفهوم أيضا مع سوق شواهد واردة فى كتاب الجمل من الشعر والقرآن الكريم[٧٠] .

وقد توسع مصنف كتاب الجمل فى تطبيق هذا المفهوم فمثل له بما يعرف بالنعت السببى المجرور مثل : مررت برجل عجوز أمه ، وبامرأة شيخ أبوها على أن يعرب عجوز خبرا مقدما مجرورا بالمجاورة ومابعده مبتدأ . وهذا واضح من قوله تعليقا على المثالين السابقين : « فخفضت سيخا وهو من نعت الأب إلا أنه لما جاور امرأة خفضت . ورفع أباها على الابتداء » ثم يقول فإذا كان الجوار اسما فى هذا النوع لم يجز الجوار ولم تخفض تقول مررت برجل زيدٌ أبوه ، ومررت برجل حديدٌ بابه رفعت زيدا وحديدا على الابتداء والخبر ولم تخفض لأنه اسم وليس بنعت »[٧١] .

وتطبيق مفهوم الخفض بالجوار على هذا التركيب غريب لم أره فيما اطلعت عليه لغير المصنف .

٨ ــ الصرف :

أراد المصنف بهذا الاصطلاح صرف الكلام عن جهته وأورده فى موضعين

(٦٨) الجمل : ١٧٣

(٦٩) كتاب سيبويه ١ : ٦٧

(٧٠) معانى القرآن للفراء ، ٢ : ٧٤ ، ٧٥

(٧١) الجمل : ١٧٤

« النصب بالصرف » والرفع بالصرف » وسنعرض لمفهومه فى كل موضع على حدة .

أ ـــ النصب بالصرف : قال المصنف : « والنصب بالصرف فى قولهم : لاأركب وتمشىَ ، ولاأشبع وتجوعَ ، فلما أسقط الكتابة وهى (أنت) نصب لأنّ معناه : لاأركب وأنت تمشى ، ولاأشبع وأنت تجوعُ فلما أسقط الكناية وهى أنت نصب لأنه مصروف عن جهته »[٧٢] ومعنى ذلك أن التركيب الظاهر له تركيب آخر مقدر حذف جزء منه فلما عدل عن جزء من التركيب المقدر نصب الفعل المضارع وربما كان ذلك سببا فى تسمية الواو هنا واو المعية ينصب المضارع بعدها بتقدير « أنْ » عند البصريين ، وتسمى واو الصرف عند الكوفيين ، لأنها صرفت الكلام من مفهوم عطف الفعل على الفعل السابق عليه إلى مفهوم آخر وهو مفهوم المعية .

ولكن المصنف لايخص النصب بالصرف الفعل المضارع المسبوق بواو بعد طلب أو نفى كما فى هذا التركيب بل جعله أعم من ذلك فيقول : « ومن الصرف أيضا قول الله عز وجل : (بلى قادرين) معناه : بلى نقدر فصرف من الرفع إلى النصب ، وقال بعضهم على معنى بلى كنا قادرين . وقال الشاعر :

ألم ترنى عاهـــدت ربى وإننـــى ... لبين رتـــاج قائمـــا ومقـــام

على قسم لاأشتم الدهر مسلمـا ... ولاخارجـا من فىّ زور الكـــلام

فنصب خارجا على الصرف . معناه ولايخرج فلما صرفه نصبه »[٧٣] .

وهذا مفهوم لمصطلح الصرف غير مألوف فى كتب النحو مع ملاحظة أنّ الآية الكريمة وهذين البيتين من شواهد سيبويه ولكنه لم يجعل المنصوب فيها منصوبا بالصرف ، كما لم يذكر الخليلَ فى موضع استشهاده بالآية والبيتين بل قال : وأما قوله (جل وعز : (بلى قادرين) فهو على الفعل الذى أظهر كأنه قال : بلى نجمعها قادرين ، حدثنا بذلك يونس وأما قوله وهو الفرزدق :

---

(٧٢) الجمل : ٦٨

(٧٣) السابق : ٦٩ . والآية رقم ٤ من سورة القيامة

على حلفة لم أشتم الدهر مسلما   ولاخارجــــا من فيّ زور كلام

فإنما أراد : ولايخرج فيما أستقبل كأنه قال : ولايخرج خروجا . ألا تراه ذكر « عاهدت » فى البيت الذى قبله فقال :

ألم ترنى عاهــدت ربى وإننــى   لبين رتــاج قائمــا ومقــام

ولو حمله على أنه نفى شيئا هو فيه ولم يرد أن يحمله على عاهدت جاز وإلى هذا الوجه كان يذهب عيسى فيما نُرى لأنه لم يكن يحمله على عاهدت »(٧٤) .

وعلى هذا فقد تعددت وجهات نظر الرعيل الأول فى تفسير نصب « قادرين » و « خارجا » فكان ليونس رأى ولعيسى بن عمر رأى ومما لاشك فيه كان للخليل ابن أحمد رأى أيضا وإن لم يذكره سيبويه ثم كان لسيبويه ماأثبته فى كتابه .

وأرى أن هذا المفهوم للصرف كان قديما وعاما بدليل مايلى :ـــ

أ ـــ ماجاء فى كتاب العين للخليل : وتقول العرب بعداً وسحقاً مصروفا عن وجهه ووجهه : أبعده الله وأسحقه . والمصروف ينصب ليعلم أنه منقول من حال إلى حال »(٧٥) .

ب ـــ أن الفراء انتقد الشق الأخير من مفهوم الصرف معترضا مخطئا من قال بالصرف فى الآية وبيت الفرزدق فقال : « وقوله (قادرين) نصب على الخروج من (نجمع) كأنك قلت فى الكلام : أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين على أقوى منك ... وقول الناس بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأً ، لأن الفعل لاينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل . ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل قلت أقائم ، وكان خطأً أن تقول : أقائما أنت إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

على قسم لاأشتم الدهر مسلما   ولاخارجــــا من فيّ زور كلام

فقالوا : إنما أراد ، لاأشتم ولاأخرج فلما صرفها إلى خارج نصبها ، وإنما

(٧٤) كتاب سيبويه ١ : ٣٤٦

(٧٥) العين للخليل بن أحمد ٢ : ٥٢

نصب لأنه أراد عاهدتِ ربى لا شاتما أحدا ، ولاخارجا من فىّ زور كلام ، وقوله : لاأشتم فى موضع نصب .»[٧٦] .

فمن هؤلاء الناس الذين يعينهم الفراء ؟ لاشك أنهم البصريون إن لم يكن يعنى الخليل ولم يصرح به كعادته . وقد قصدت أن أثبت نص كلام الفراء لأن فيه دليلا على أن ماجاء فى كتاب الجمل كان معلوما قبل أن يملى الفراء كتاب معانى القرآن ، وبالموازنة بين ماجاء فى الكتابين نشعر بأنه العبارات الواردة فى كتاب الجمل كانت كأنها ماثلة أمام الفراء

وعلى هذا أستطيع أن أقول فى اطمئنان : إن مفهوم النصب بالصرف على النحو الوارد فى كتاب الجمل كان قديما أخذ منه الكوفيون بعضا ورفضوا بعضا ، أخذوا منه مايتعلق بنصب المضارع المسبوق بالواو بعد نفى أو طلب ، والاسم المنصوب بعدواو المعية وقد وضح الفراء مفهوم الصرف بقوله : « فإن قلت وماالصرف ؟ قلت : أن تأتى بالواو معطوفة على كلام فى أوله حادثة لاتستقيم إعادتها على ماعطف عليها ، فإن كان كذلك فهو الصرف كقول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومثله من الأسماء التى نصبتها العرب وهى معطوفة على مرفوع قولهم : لو تركت والأسدَ لأكلك ، ولو خليت ورأيكَ لضللت »[٧٧] .

ب ـــ الرفع بالصرف :

جاء فى الجمل : « والرفع بالصرف قول الله عز وجل : (ولاتمنن تستكثر)[٧٨] . ذكر النحويون أن معناه : ولاتمنن مستكثرا . فصرف من منصوب إلى مرفوع ومثله : (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)[٧٩] ثم ذرهم فى

---

(٧٦) معانى القرآن للفراء ٣ : ٢٠٨ . وكما خطأ للفراء النصب بتحويل نقدر إلى قادرين خطأه أبو جعفر النحاس أيضا انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٥ : ٧٩

(٧٧) معانى القرآن للفراء : ١ : ٣٣ ، ٣٤

(٧٨) سورة المدثر آ : ٦

(٧٩) سورة الأنعام آ : ٩١

خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع ... » وقال الآخر

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

رفع تعشو على معنى : تأته عاشيا فصرف من النصب إلى الرفع »[80]

واصطلاح الرفع بالصرف لم أقف عليه فى غير هذا الكتاب ولكن حول هذا المعنى قال سيبويه : « وتقول ذره يقلْ ذاك ، وذره يقولُ ذاك ، فالرفع من وجهين فأحدهما الابتداء ، والآخر على قولك ذره قائلا ذره قائلا داك فتجعل يقول فى موضع قائل ... ومثال الرفع قوله تعالى حده (ذرهم فى خوضهم يلعبون)[81] . وعلى هذا يكون مفهوم الصرف هنا تحويل الحال المفرد إلى جملة فالمفرد منصوب ، والفعل المضارع مرفوع هذا من الناحية التركيبية أما من الناحية الدلالية فقد صرف الكلام عن جهته أى عن كون الفعل جوابا للأمر — ولم يظهر هذا الاصطلاح أيضا عند الفراء ويوجه الآية توجيها آخر فيقول « ولاتمنن تستكثرُ » وفى قراءة عبد الله ولاتمنن أن تستكثرَ فهذا وجه من الرفع فلما لم تأت بالناصب رفعت »[82] وكلام الفراء هنا متصل بما جاء فى كتاب الجمل بعنوان الرفع على فقدان الناصب .

٩ — العطف — النسق — الموالاة

وردت هذه المصطلحات الثلاثة لمفهوم واحد هو الإتباع بوساطة حرف . فجاء فى الجمل : « ثم قرءوا : (والجروحُ قصاص)[83] ويقال إنه عطف على موضع إنّ لأن موضعها مبتدأ . ويقال مقدم ومؤخر . قال الفرزدق :

تنح عن البطحاء إن جسيمها لنا والجبالُ الباذخات الفوارع

فرفع الجبال على الابتداء ولم ينسق »[84] .

وفى هذا النص نجد المصنف استعمل مصطلح العطف ومصطلح النسق ،

(٨٠) الجمل : ١٤٢

(٨١) كتاب سيبويه ٣ : ٩٨

(٨٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٥٣

(٨٣) سورة المائدة آ ٤٥

(٨٤) الجمل : ١٣٠

والشائع أن العطف اصطلاح بصرى ، وأن النسق اصطلاح كوفى ، وهذا غير صحيح فالاستعمالان واردان فى المقتضب للمبرد أيضا فى قوله : « فالتى تنسق ثُمَّ تنسق هاهنا ، كما كان ذلك فى الواو ، والفاء ، وثم ، وجميع حروف العطف »[٨٥] وقال : « (حتى) التى تقع فى الاسم ناسقة »[٨٦] . فكما لانستطيع أن نقول إن المبرد خلط المذهبين لايلزم أن نقول إن مصنف كتاب الجمل متأخر وخلط المذهبين .

وقال صاحب الجمل : « ومن روى مسحِتٌ ومجلِّف بكسر الحاء واللام فى مجلِّف فإنه رفعه على المولاة لأنه جعل إلا بمنزلة الواو »[٨٧] واستعمال « الموالاة » بمعنى العطف أيضا نجده عند أبى عبيدة فى قوله معلقا على قول الله عز وجل : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم »[٨٨] : « موضع « إلا » هاهنا ليس بموضع استثناء إنما هو موضع واو المولاة »[٨٩] .

فاستعمال هذه الكلمات الثلاث فى كتاب الجمل يدل على تقدم مصنفه قبل شيوعها مصطلحات عند البصريين والكوفيين .

١٠ ــ العماد :

ورد هذا الاصطلاح فى كتاب الجمل عند حديث مصنفه عن « هاء العماد » وعن « فاء العماد » وسنعرض كلا منهما على حدة .

أ ــ هاء العماد :

لايريد المصنف بهاء العماد ضمير الفصل فى اصطلاح البصريين بل يريد مايعرف بضمير الشأن . فقال :

وهاء العماد : مثل قولهم : إنه قائم فيها أخوك ، وإنه قائم فيها أبوك ، وإنه قائم فيها

(٨٥) المقتضب ٢ : ٣٩

(٨٦) نفسه

(٨٧) الجمل : ١٤٦

(٨٨) سورة البقرة آ . ١٥٠

(٨٩) مجاز القرآن ١ : ٦٠

أختك ، وإنه قائم فيها أختاك ، وإنه قائم فيها أخواتك ، وليست هذه الهاء فى هذا الموضع اسما »[٩٠] ثم قال : « قال جل وعز : (إنه مصيبها ماأصابهم)[٩١] ، و (قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ)[٩٢][٩٣] . وقد عبر المصنف عن هذه الهاء فى موضع آخر بأنها صلة فقال : وكذلك قول الله جل اسمه فى سورة الجن : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الهاء صلة وليست بكناية »[٩٤] . وهو يريد بالصلة الزيادة ويريد بالكناية الضمير .

وإذا نظرنا فى كتاب سيبويه نجده لايستعمل كلمة العماد فى حديثه عن هذه الهاء بل يقرر أن الهاء ضمير يفسره مابعده ويسمى الهاء إضمار الحديث فيقول : « ومما يضمر لأنه يفسره مابعده ولايكون فى موضعه مظهر قول العرب : إنه كرامُ قومك ، وإنه ذاهبة أمتك ، فالهاء إضمار الحديث الذى ذكرت بعد الهاء كأنه فى التقدير .. وإن كان لايتكلم به ـــ قال : إن الأمر ذاهبة أمتك ، وفاعلة فلانةٌ ، فصار الكلام كله خبرا للأمر »[٩٥] .

وحذا المبرد حذو سيبويه فى استعمال كلمة الحديث والأمر[٩٦] وأما الفراء فقد وضح أن المراد من العماد أعم من أن يقابل ضمير الفصل عند البصريين فى معرض حديثه عن قوله تعالى : (وهو محرم عليكم إخراجهم)[٩٧] مجوزا أن يكون « هو » عماداً . فقال : « فإن قلت إن العرب إنما تجعل العماد فى الظن لأنه ناصب ، وفى كان وليس لأنهما يرفعان ، وفى إن وأخواتها لأنهن ينصبن ولاينبغى للواو وهى لاتنصب ولاترفع ولاتخفض أن يكون لها عماد ، قلت لم يوضع العماد على أن يكون النصب أو لرفع أو لخفض وإنما وضع فى كل موضع يبتدأ فيه

(٩٠) الحمل : ٢٧٠

(٩١) سورة هود آ : ٣١

(٩٢) سورة الجن آ : ١

(٩٣) الحمل : ٢٧٠

(٩٤) السابق : ١٣٥

(٩٥) كتاب سيبويه ٢ : ١٧٦

(٩٦) المقتضب ٢ . ١٤٤

(٩٧) سورة

بالاسم قبل الفعل ... فلما بدأت بالفعل وإنما تطلب الواو الاسم أدخلوا لها « هو » لأنه اسم »[٩٨] . والمراد بالفعل هنا مايشمل المشتقات .

فمفهوم العماد عند الفراء موافق لما يعنيه مصنف الجمل وهو مطابق لما يعرف بضمير الشأن الذى عبر عنه سيبويه بضمير الحديث والأمر .

وقال ثعلب (ت ٢٩٠) : « وقال الكسائى وسيبويه : هو من (قل هو الله أحد)[٩٩] ، عماد . فقال الفراء : هذا خطأ ، من قبل أن العماد لايدخل إلا على الموضع الذى يلى الأفعال ويكون وقاية للفعل مثل : إنه قام زيد ، ثم يستعمل بعد فيتقدم ويتأخر ، والأصل فى هذا إنما قام زيد . فالعماد كـ « ما » وكل موضوع فعلى هذا جاء يقى الفعل وليس مع (قل هو الله أحد) شىء يقيه »[١٠٠] .

ونتبين من هذه النصوص أن اصطلاح العماد الذى يطلق على بعض الضمائر كان مصطلحا يشمل مايعرف بضمير الشأن ومايعرف بضمير الفصل الذى يقع بين المبتدأ والخبر وماكان أصلهما مبتدأ وخبرا ثم خصص كل منهما باصطلاح عند البصريين .

ب ـــ فاء العماد :

جاء فى كتاب الجمل : (وأما) بفتح الألف فلا بد له من فاء تكون عماداً . تقول : أما زيد فعاقل ، وأما محمد فلبيب . فالفاء عماد والعاقل خبر الابتداء »[١٠١] .

فكلمة العماد هنا لاتعنى شيئا مما سبق ذكره فى هاء العماد إنما يراد بها المعنى العام أى فاء يعتمد عليها فى ربط الخبر بالمبتدأ الواقع بعد « أما » .

---

(٩٨) معانى القرآن الفراء ١ : ٥١

(٩٩) الإخلاص آ : ١

(١٠٠) مجالس ثعلب ٢ : ٣٥٤ ط ٢

(١٠١) الجمل : ٣١٠

١١ ـ التفسير والتمييز :

يفرق المصنف بين المصطلحين فيجعل التفسير خاصا بتفسير الذات ، ويجعل التمييز خاصا بالنسب ، فيتناول كلا منهما على حدة ويجعل كل واحد منهما وجها من وجوه النصب فيقول : « والنصب من تفسير . قولهم عندك خمسون رجلا نصبت رجلا على التفسير ، وقال الله عز وجل : (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة)[١٠٢] نصبت نعجة على التفسير »[١٠٣] . ثم قال : « والنصب من التمييز قولهم أنت أحسن الناس وجها ، وأسمحهم كفا » ويسوق آيات وأبياتا كلها من هذا القبيل .

ولم أجد فى كتاب سيبويه كلمة التمييز أو مشتقاتها ، وإنما ورد فيه فسّر ويفسّر والتفسير ومن ذلك قوله : « فإذا قال لك كم لك درهما ؟ أو كم درهما لك ؟ ففسر مايسأل عنه قلت : عشرون درهما »[١٠٥] . وقوله : « ولايجوز لك أن تقول نعم ولا ربَّه وتسكت لأنهم إنما بدءوا بالإضمار على شريطة التفسير »[١٠٦] وقوله : « وإذا قلت كم عبدُ الله ماكث . فكم أيام وعبد الله فاعل ، وإذا قلت : كم عبد الله عندك : فكم ظرف من الأيام ، وليس يكون عبد الله تفسير الأيام لأنه ليس منها . والتفسير كم يوما عبد الله ماكث وكم شهرا عبد الله عندك »[١٠٧] .

فالتفسير عند سيبويه يشمل مايعرف بتمييز الذات وتمييز النسبة ، وتمييز الضمائر فى ربه رجلا ، ونعم رجلا عبد الله وويحه رجلا وأكرم به رجلا . كما كان سيبويه يسمى مايعرف بالتمييز : الاسم المبين للمبهم .

أما الفراء فهو أيضا يستعمل كلمة التفسير شاملة تمييز الذات وتمييز النسبة فقال فى قوله تعالى : (أحد عشر كوكبا)[١٠٨] : فأما نصب كوكب فإنه يخرج

(١٠٢) سورة ص آ : ٢٣

(١٠٣) الجمل : ٤٥

(١٠٤) كتاب سيبويه ٢ : ١٥٧

(١٠٥) السابق ٢ : ١٦٩

(١٠٦) السابق ٢ : ١٧٦

(١٠٧) كتاب سيبويه ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠

(١٠٨) سورة يوسف آ : ٤

مفسرا للنوع من كل عدد ليعرف ماأخبرت عنه »[١٠٩] . وقال فى قوله تعالى : (فله جزاء الحسنى)[١١٠] : « نصب الجزاء على التفسير »[١١١] وقال فى قوله تعالى : (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا)[١١٢] : « فخرجت النفس مفسرة »[١١٣] .

أما المبرد فيستعمل فى المقتضب مصطلح التمييز والتبيين ولايخص أحدهما بشيء دون الآخر فيطلقهما على تمييز الذوات والنسب . فقد عقد بابا عنوانه : « هذا باب التبيين والتمييز »[١١٤] وفيه يقول : « اعلم أن التمييز يعمل فيه الفعل »[١١٥] ويقول : « واعلم أن التبيين إذا كان العامل فعلا جاز تقديمه لتصرف الفعل فقلت تفقأت شحما »[١١٦] ويبدو أنه استعمل كلمة التبيين من وحى قول سيبويه : « الاسم المبين للمبهم » .

واستعمل ثعلب (ت ٢٩٠ هـ) اصطلاح التفسير فقال فى قوله تعالى : (لاتتخذوا إلهين اثنين)[١١٧] : « يرجع إلى الأصل لأنه كان ينبغى أن يكون مع الواحد والاثنين تفسير كما كان فى الجمع ولكن لم يجيء . والأصل درهم واحد ، ثوب واحد ، درهمان اثنان ثوبان اثنان كما يقال دراهم ثلاثة وأربعة »[١١٨] .

أما الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فيستعمل مصطلح التفسير ومصطلح التبيين[١١٩] وكأنه بذلك جمع بين الفراء والمبرد . أما أبو بكر الأنبارى ت (٣٢٨ هـ) فقد

---

(١٠٩) معانى القرآن ٢ : ٣٣
(١١٠) سورة الكهف آ : ٨٨
(١١١) معانى القرآن ٢ : ١٥٩
(١١٢) سورة النساء آ : ٤
(١١٣) معانى القرآن ١ : ٢٥٦
(١١٤) المقتضب ٣ : ٣٢ ــ ٣٨
(١١٥) السابق ٣ : ٣٢
(١١٦) السابق ٣ : ٣٦
(١١٧) سورة النحل آ : ٥١
(١١٨) مجالس ثعلب ٢ : ٤٣٧ ط ٣ وانظر : ٤٢٥
(١١٩) أنظر تفسير الطبرى ٣ : ٩٠ ، ٦ ، ٥٨٦

اقتفى أثر الفراء فى استعمال مصطلح التفسير[١٢٠] . أما أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) فيقول : « باب التفسير . اعلم أن كل شيء ذكرته مما يحتمل أنواعا ثم فسرته بنوع نكرة كان التفسير نصبا . تقول من ذلك : عندى خمسة عشر درهما نصبت الدرهم على التفسير . ويقال على التمييز ومثله عندى عشرون عبدا ، وهذه خمسة أرطال زيتا ، وفلان أكثر الناس مالا وأحسنهم وجها »[١٢١] فهو يعد التمييز والتفسير مترادفين ويشمل كل منهما مايعرف بتمييز الذات وتمييز النسبة . أما الزجاجى فإنه يستعمل مصطلح التمييز ويشمل تمييز الذات وتمييز النسب أيضا[١٢٢] . وهكذا يصنع ابن جنى فى كتاب اللمع[١٢٣] .

ويبدو من تتبع مصطلح التفسير والتمييز أن مصطلح التفسير كان سابقا على مصطلح التمييز ، ولكن تخصيص كل مصطلح منهما بشق على النحو الوارد فى كتاب الجمل المفرد بهذه القسمة يشعر بأنهما ظهرا معاً فى فترة تتسم بتعدد المصطلحات . وتخصيص كل جزئية بمصطلح يمثل السمة العامة لكتاب الجمل المنسوب للخليل ، ومن ذلك خبر المعرفة[١٢٣] ، والحال[١٢٤] ، والنصب من القطع[١٢٥] ، والنصب على الاستغناء وتمام الكلام[١٢٦] ، والنصب من نعت النكرة تقدم على الاسم[١٢٧] ، والنصب بخبر مابال وأخواتها[١٢٨] ، وكل هذه الوجوه والمسائل تندرج تحت مصطلح الحال . ومما لاشك فيه أن هذه الفترة تناسب ماقبل سيبويه واختار هو فى كتابه مااختار .

١٢ ـــ الفصل : ضمير الفصل

لقد فرق المصنف بين ضمير الفصل وضمير الشأن الذى سماه عمادا فأشار

(١٢٠) انظر شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر الأنبارى : ١١ ، ٧٠ ، ٤٠٩

(١٢١) التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس : ٢٤

(١٢٢) انظر الجمل للزجاجى : ٢٤٢ واللمع لابن جنى ١٤٧ ـــ ١٤٩ ، ٢٢١ ـــ ٢٢٤

(١٢٣) انظر الجمل . ١٧٠

(١٢٤) السابق : ٤٠

(١٢٥) السابق . ٣٨

(١٢٦) السابق . ٧٩

(١٢٧) السابق . ٧٥

(١٢٨) السابق : ٥٧

إلى ضمير الفصل بقوله : « وتقول هم قوم كرام فإذا جعلت هذه الحروف فصلا بين حروف التراى . وحروف كان لم تعمل شيئا ، وأجريت الكلام على أصله كقولك كان عمرو وهو خيرا منك »[١٢٩] ويستشهد المصنف بخمس آيات استشهد سيبويه بثلاث منها . ثم يقول : فأما تميم فترفع هذا كله ، ويجعلون المضمر مبتدأ ومابعده خبره »[١٣٠] .

والمصنف بتفرقته بين ضمير العماد وضمير الفصل لم يسلك مسلك الكوفيين الذين جعلوا ضمير العماد مقابلا لضمير الفصل عند البصريين ، كما لم يجعل ضمير العماد شاملا لضمير الشأن وضمير الفصل كما صنع الفراء . وقد سبق بيان ذلك فى حديثنا عن مصطلح العماد .

١٣ ـــ الفعل الدائم :

استعمل المصنف هذا الاصطلاح وهو لايريد اسم الفاعل كما فهم الكوفيون بل يريد الفعل الدال على الحال أو الحدث الحاضر . فقال : « النصب بالاستفهام . قولهم : أقعودا والناس قيام ؟ على معنى : أتقعدون والناس قيام ؟ وهذا فعل ليس بماض ولامستقبل وهو فعل دائم أنت فيه »[١٣١] .

وقد يتبادر للذهن أنه مصطلح كوفى والأمر ليس كذلك لأن المصنف يريد أن الحدث المفهوم من (قعود) و (قيام) ليس حدثا ماضيا ولاحدثا مستقبلا بل هو حدث فى حال التخاطب من قعود يقابله قيام . وعبارة سيبويه قريبة مما أورده المصنف ، قال سيبويه : « وأما ماينتصب فى الاستفهام من هذا الباب فقولك : أقياما يافلان والناس قعود ، وأجلوسا والناس يعدون ، لايريد أن يخبر أنه يجلس ، ولا أنه قد جلس وانقضى جلوسه ولكنه يخبر أنه فى تلك الحال فى جلوس وقيام . قال الراجز وهو العجاج :

---

(١٢٩) السابق : ١٦٧

(١٣٠) السابق : ١٦٨

(١٣١) الجمل : ٨٧

☆ أطربا وأنت قِنّسْرِيّ ★

وإنما أراد : أتطرب أى أنت فى حال طرب ؟ ولم يرد أن يخبر عما مضى ولاعما يستقبل »[١٣٢] .

وقد يعبر عن الفعل المضارع الدال على الحال بالفعل الدائم . قال الزجاجىّ : « الأفعال ثلاثة : فعل ماض ، وفعل مستقبل ، وفعل فى الحال يسمى الدائم »[١٣٣] ثم قال : « وأما فعل الحال ، فلا فرق بينه وبين المستقبل فى اللفظ كقولك زيد يقوم الآن ويقوم غدا »[١٣٤] .

فقول المصنف فعل دائم أنت فيه لاتعنى اسم الفاعل ، لأن الأمثلة والشواهد التى أوردها تتضمن مصادر مثل : « قعودا » ، « وطربا » ، « ولؤما » .

١٤ ــ الفعل الصحيح

جاء فى الجمل : « الفعل الصحيح الذى لايذهب عند فعلت منه شىء ولاتنتقل حركته إلى حركة ، ولاسكون ، بعضها إلى موضع بعض مثلما يتحرك فى قولك : « يَقُول » فالياء متحركة ، والقاف متحركة ، والواو ساكنة ، « ويقول » يَفْعُل . فقد انتقل سكون الواو إلى الفاء ، وتحركت العين وهى فى موضع الواو من « يقول » . ولو كان الفعل صحيحا لم يتغير كقولك : يضرب ، ويشتم ، ويخرج ، ويدخل »[١٣٥] .

والفعل الصحيح بهذا المفهوم يقابله الفعل الأجوف فقط لأنه هو الذى يحذف منه حرف أو يحدث نقل حركة بعض حروفه فى صيغة مضارعة بخلاف المثال فى بعض صوره ، والناقص . لأننا نقول فى وزن : وزنت ، ويزن ، ولكننا نقول فى وجل يوجل دون حذف فاء الكلمة . ونقول فى طوى طويت وفى دعا دعوت ورضى رضيت . إلا أن تمثيل المصنف للفعل الصحيح بقوله : « لأنك إذا قلت : ضربت وشتمت ، فـ « فعلت » لم يتغير منه شىء . وهو قياسه »[١٣٦] .

(١٣٢) كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨

(١٣٣) الجمل للزجاجى . ١٣٣

(١٣٤) السابق : ١٣٤

(١٣٥) الجمل : ٢٩٤ ، ٢٩٥

(١٣٦) الجمل : ٢٩٥

١٥ ـــ الفعل المعتل :

جاء فى الجمل : « إذا وجدت الأسماء والأفعال وفيها واو أو ياء ، فلم تثبت إذا رددت الاسم والفعل إلى فعلت فذلك الاسم والفعل معتل مثل : أقول ، وأعوذ وتقول ، وتكيل . هذه أفعال معتلة . والدليل على ذلك أنك إذا رددتها إلى فعلت لم تثبت الواو والياء »[١٣٧] .

فهذا المفهوم للفعل المعتل يساير المفهوم السابق للفعل الصحيح والمقابلة بينهما واضحة وإن كان هذا المفهوم لايشمل كل صور مايعرف بالمعتل من الأسماء والأفعال ويشعر بأنه خاص بمعتل العين .

١٦ ـــ الفعل المستقبل :

جاء فى الكلمة : « والرفع فى الأفعال المستقبلة وهو الفعل المستأنف رفع أبداً إلا أن يقع عليه حرف جازم ، أو حرف ناصب ، وعلامة المستقبل أن يقع فى أول الفعل أحد هذه الحروف الأربعة وهى : الألف ، والتاء ، والياء ، والنون »[١٣٨] وواضح أن المصنف يريد بذلك ماأطلق عليه سيبويه الفعل المضارع بقوله : « والنصب فى المضارع من الأفعال : لن يفعل ، والرفع : سيفَعلُ ، والجزم لم يفعل »[١٣٩] .

ولم يستعمل مصنف كتاب الجمل التعبير بالفعل المضارع . وأرى أن التعبير بالفعل المستقبل كان سابقا على التعبير بالمضارع فهو مناسب للتقسيم الزمنى أما التعبير بالمضارع فلا يوحى بزمان ولايدل عليه . وقد استعمل المصطلحان بعد سيبويه ، وابن خالويه يستعملهما معاً فى إعراب قوله تعالى : (إنه يعلم الجهر ومايخفى)[١٤٠] : « يعلم فعل مضارع ... ويخفى فعل مستقبل »[١٤١] .

(١٣٧) السابق : ٢٩٤

(١٣٨) الحمل : ١٦٤

(١٣٩) كتاب سيبويه ١ : ١٤ وانظر ١ : ١٩ ، ٢١ : ٣ : ٥ ، ٨

(١٤٠) سورة الأعلى آ : ٧

(١٤١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه : ٥٨ وانظر ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٠ ، ٦٧ ، ٥٩ ، ٢٠٧

١٧ ــ الفعل الواقع :

يريد المصنف بالفعل الواقع الفعل المضارع لفظا الماضى فى المعنى فيقول : « والرفع بحتى إذا كان الفعل واقعا . قولهم سرنا حتى ندخلها ، رفعت ندخلها لأنه فعل قد مضى وهو واقع ، فكأنه صرف من النصب إلى الرفع ووجهه : حتى دخلناها »[١٤٢] . وهذا المعنى وارد فى كتاب سيبويه فى قوله : « ألا ترى أنك لو قلت أيّن الذى سار حتى يدخُلها وقد دخلها لكان حسنا ، ولجاز هذا الذى يكون لما قد وقع ، لأن الفعل ثَمَّ واقع »[١٤٣] .

وقد عبر المصنف فى كتاب الجمل بالفعل الواقع عن الفعل المتعدى فقال : « فإذا أوقعت عليه الفعل فانصب نحو قولك : قلت خيرا ، قلت شرا . نصبت لأنه فعل واقع »[١٤٤] وقد استعمل سيبويه هذه المادة أيضا فى الدلالة على تعدى الفعل إلى المفعول به فى غير موضع ومن ذلك تعليقه على قول جرير :

أثعلبــة الفــوارس أم رياحــا   عدلت بهم طُهيَّــة والخشابــا

فإذا أوقعت عليه الفعل أو على شىء من سببه نصبتهن »[١٤٥] ، والتعبير عن الفعل المتعدى والتعدى بالفعل الواقع ، والوقوع وارد فى كتب الكوفيين أيضا[١٤٦] .

١٨ ــ الاستفهام والاستخبار ، والتحقيق والإيجاب :

يفرق المصنف بين ألف الاستفهام ، وألف الاستخبار ، وألف التحقيق والإيجاب . فيخص ألف الاستفهام بوقوع « أم » بعدها . فيقول : ثم اعلم أن

---

(١٤٢) الجمل : ١٦٢

(١٤٣) كتاب سيبويه ٣ : ٢٥

(١٤٣) كتاب سيبويه ٣ : ٢٥

(١٤٤) الجمل : ١٤٩

(١٤٥) كتاب سيبويه ١ : ١٠٢ وانظر ١ : ١٠٣ ، ٧٤

(١٤٦) انظر تفسير الطبرى ٦ : ٣٦٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٦٦ . وديوان الأدب للفارابى ١ : ٧٨ ، ٩٠

ألف الاستفهام أمارتها يعنى علامتها « أم » نحو قول الله عز وجل : (آنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[١٤٧][١٤٨] .

ويقول عن ألف الاستخبار : « وأما ألف الاستخبار لاتحتاج إلى أم تقول : أعندى شيء ؟ آنت الرحل ؟ »[١٤٩] .

ويقول : « وأما ألف التحقيق والإيجاب . نحو قول الرجل للرجل : أألت فعلت كذا وكذا ؟ أأنت قلت كذا وكذا ؟ وقد علم أنه فعل فهو كأنه يستجيزه أن يخبر عنه بمعنى إنه وجب عليه ذلك »[١٥٠] .

ولم أجد من فرق بين هذه الألفات على هذا النحو إلا أن أبا بكر الأنبارى قال عن ألف الاستفهام : « تعرف بمجيء « أم » بعدها أو يحسن « هل » فى موضعها »[١٥١] ، وهو بذلك يدخل الاستخبار فى الاستفهام . أما الرمانى فيوضح أن الهمزة تستعمل فى موضعين : فى النداء والاستفهام ويبين أنها فى الاستفهام تأتى على أوجه . تكون استفهاما على جهل من المستفهم ، وتكون إنكارا ، وتكون توبيخا ، وتكون تعجبا ، وتكون استرشادا ، وتكون تقريرا وتحقيقا ونفى أن تصرف همزة الاستفهام على معنى الإيجاب[١٥٢] . ولكن فى نسخة كوبريلى يقول : وألف الإيجاب نحو قول الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[١٥٣]

وقد استشهد مصنف كتاب الجمل بهذا البيت على ألف الإيجاب أيضا . كما عبر أبو عبيدة عن الألف فى هذا البيت وفى قوله تعالى : « أتجعل فيها من يفسد

(١٤٧) سورة الواقعة آ : ٦٩

(١٤٨) الجمل : ٢٣٤

(١٤٩) السابق : ٢٣٥

(١٥٠) السابق : ٢٤٧

(١٥١) مختصر الألفات : ٢٥

(١٥٢) انظر معانى الحروف للرمانى : ٣٢ ، ٣٣

(١٥٣) المرجع السابق : ١٤٤

فيها »[١٥٤] بأن الألف جاءت على لفظ الاستفهام ، ولكن المعنى إيجاب[١٥٥] .

١٩ ــ **القطع** : النصب من القطع

يرد هذا الاصطلاح فى كتب النحو ، وقد يبدو أنه مألوف ، ولكن دلالته فى هذا المصنف غير شائعة وتشعر بأنه ضارب فى القدم ، وسنورد من هذا الكتاب مايبين دلالته :

جاء فى كتاب الجمل : « والنصب من القطع مثل قولك هذا الرجل واقفا ، وهاأناذا عالما . قال الله جل ذكره . (وهذا صراط ربك مستقيما)[١٥٦] ومثله : (فتلك بيوتهم خاوية)[١٥٧] على القطع ، ومثله : (وهذا بعلى شيخا)[١٥٨] ، وكذلك : (وله الدين واصبا)[١٥٩] وكذلك : (وهو الحق مصدقا)[١٦٠] معناه : وله الدين الواصب ، وهو الحق المصدق ، وكذلك : (تساقط عليك رطبا جنيا)[١٦١] معناه تساقط عليك الرطب الجنى . فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام »[١٦٢] .

فمعنى القطع عند المصنف قطع الألف واللام مما يكون نعتا لما قبله فينصب ، وإن كان فى تطبيق ذلك على قوله تعالى (تساقط عليك رطبا جنيا) نظر ، وهذا المفهوم غير شائع فى كتب النحو ، وقد أورده الفراء فى مواضع كثيرة منها قوله فى (وامرأته حمالة الحطب)[١٦٣] : « وأما النصب فعلى جهتين إحداهما أن تجعل الحمالة قطعا لأنها نكرة ، ألا ترى أنك تقول : وامرأته الحمالة الحطب ، فإذا

(١٥٤) سورة البقرة آ : ٣٠
(١٥٥) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٥
(١٥٦) سورة الأنعام آ : ١٢٦
(١٥٧) سورة النمل آ : ٥٢
(١٥٨) سورة هود آ : ٧٢
(١٥٩) سورة النحل : ٥٢
(١٦٠) سورة البقرة آ : ٩١
(١٦١) سورة مريم آ : ٢٥
(١٦٢) الجمل : ٣٨
(١٦٣) سورة المسد : ٤

ألقيت الألف واللام كانت نكرة ، ولم يستقم أن تُنْعَتَ معرفة بنكرة »[١٦٤] .

واستعمل الطبرى اصطلاح القطع بهذا المفهوم[١٦٥] مقتفيا أثر الفراء .

وقال أبو بكر الأنبارى فى تعليقه على قول امرىء القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيِّهم

« قال أبو العباس كان أصحابنا يقولون نصب وقوفا على القطع من الدخول فحومل ، وتوضح فالمقراة » .. ثم يقول : « وقال بعض النحويين نصب وقوفا على القطع من الهاء التى فى نسختها كما تقول مررت بها جالساً أبوها ، فتنصب جالسا على القطع من الهاء . وقال بعض أهل اللغة التقدير بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة الوقوف بها صحبى ، فلما أسقط الألف واللام نصبه على القطع ... إلا أن الفراء أنكر قول الذين يقولون : القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه ، وقال يلزمهم ألا يأتوا بالقطع من المكنى فلا يقولوا : أنت متكلما أحسن منك ساكنا إذ كانت الألف واللام لاتحسن فى متكلم لأن أنت لشهرته لاينعت[١٦٦] .

ولايعنينا هنا تتبع تاريخ المصطلح بقدر مايعنينا أنه مصطلح قديم ، بمعنى أن يكون النصب بقطع الألف واللام سابقا على زمن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ بدليل اعتراضه عليه كما ذكر أبو بكر الأنبارى فى النص الذى سبقناه له . كما بين الفراء المعنى الأصلى للقطع فقال : « وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مما قبله . وهذه محض القطع الذى تسمعه من النحويين » . ومعنى هذا أن المصطلح بمفهومه الذى نص عليه مصنف كتاب الجمل كان جاريا على ألسنة النحويين وأقلامهم بل كان جزءا من المفهوم النحوى فى فترة مبكرة . ولايلزم من وروده عند الفراء والطبرى وأبى بكر الأنبارى أن يكون المصطلح كوفيا محضا فقد يكون من المصطلحات القديمة التى توارت أمام مصطلحات أخرى حلت محلها فى فترة استقرار المصطلح النحوى .

(١٦٤) معانى القرآن للفراء ٣ : ٢٩٨ ، وانظر ١ : ٧ ، ١٢ ، ٢ : ٦ : ٢٨٦ ، ٢٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٤٢٥ ، ٣ : ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ٨٣

(١٦٥) انظر تفسير الطبرى : ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٣٠ ، ٥٦١ ، ٥ : ١٣٧ . ٣٩٢

(١٦٦) شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر الأنبارى : ٢٤

وأحب أن أشير إلى أن اعتراض الفراء بقوله : « يلزمهم ألا يأتوا بالقطع من المكنى فلا يقولوا أنت متكلما أحسن منك ساكتا إذ كانت الألف واللام لاتحسن فى متكلم لأن أنت لشهرته لاينعت » دفعه صاحب الجمل بأن جعل لذلك مصطلحا آخر هو « الحال » ومثل للنصب من الحال بقوله : « أنت جالسا أحسن منك قائما » وقد سبق بيان ذلك فى حديثنا عن مصطلح «الحال » .

وقد جاء « القطع » فى كتاب الجمل بمفهوم آخر متصل بالفعل . يقول المصنف : « وتقول : إن تزورنى وتكرمنى أزرك وأكرمك وهذا الفعل الذى أدخلت عليه الواو يرفع وينصب ويجزم . فمن جزم نسقه على الأول ، ومن نصب فعلى القطع من الكلام الأول ، ومن رفع فعلى الابتداء »(١٦٧) . فالمراد بالقطع هنا الاستئناف .

٢٠ ــ مالم يذكر فاعله ، ومالم يسم فاعله .

جاء فى كتاب الجمل : « ومالم يذكر فاعله . ضُرِبَ زيد ، وكُسِيَ عمرو »(١٦٨) وهو تعدد وجوه الرفع . ويقصد المصنف بذلك مايعرف بنائب الفاعل . واستعمل المصنف فى موضع آخر مصطلح « مالم يسم فاعله مريدا مايعرف بالفعل المبنى للمجهول فقال : « تقول : اصطنعتك ، اصفيتك فإذا عدوتها إلى مالم يسم فاعله ضممت فى ابتدائكها تقول اضْطُر ، استُخْرِج استُعْمِل »(١٦٩) .

والشائع فى استعمال هذين المصطلحين عند المتقدمين أن يدلا على الفعل المبنى للمجهول أما نائب الفاعل فقد عبر عنه سيبويه بقوله : « المفعول الذى لم يتعد إليه فعل الفاعل »(١٧٠) وعبر عنه المبرد بقوله : « المفعول الذى لم يذكر فاعله »(١٧١) . وعبر عنه الزبيدى بقوله : المفعول الذى لم يسم فاعله »(١٧٢) أما ابن

(١٦٧) الجمل : ١٩٥
(١٦٨) السابق : ١١٨
(١٦٩) السابق : ٢٢٦
(١٧٠) كتاب سيبويه ١ : ٣٣
(١٧١) المقتضب ٤ : ٥٠
(١٧٢) الواضح فى علم العربية : ١٦

خالويه فقد عبر عن الفعل المنى للمجهول بقوله : مالم يسم فاعله ، وعبر عن نائب الفاعل بقوله : « اسم مالم يسم فاعله »[173] وهذا تعبير غريب .

٢١ ـــ النصب بفقدان الخافض :

يريد المصنف بفقدان الخافض حذف عامل الجر ونصب ماكان مجرورا . وهذا المفهوم وضحه سيبويه بقوله تعليقا على قوله تعالى : « واختار موسى قومه »[174] وسميته زيدا ، وكنيت زيدا أبا عبد الله ، وأستغفر الله ذنبا ، وأمرتك الخير : « وإنما فصل هذا لأنها أفعال توصل بحروف الإضافة فتقول : اخترت فلانا من الرجال ، وسميته بفلان كما تقول : عرفته بهذه العلامة ، وأوضحته بها وأستغفر الله من ذلك فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل . ثم قال : وليس كل الفعل يفعل به هذا »[175] ولم يستعمل سيبويه لهذا المفهوم مصطلحا . وعبر عنه الفراء بقوله : « إلقاء الصفة »[176] وعبر عنه الطبرى بقوله : « فقد الخافض »[177] . وهذا قريب من التعبير الوارد فى كتاب الجمل . أما المبرد فقد صنع صنيع سيبويه[178] .

والشائع فى كتب النحو بعد ذلك قولهم النصب على نزع الخافض أو الحذف والإيصال .

ولنا أن نسأل هل مظهر مصطلح النصب بفقدان الخافض قبل سيبويه وعدل عنه ومن بعده المبرد واكتفيا بالتوضيح والشرح ؟ ثم لنا أن نسأل أيضا هل ابتكر الفراء (ت ٢٠٧ هـ) مصطلح « إلقاء الصفة » والكوفيون يعبرون عن حرف الجر بحروف الصفة كما سيأتى فى حديثنا عن مصطلح الصفة ؟ أم أنه عبر عن مصطلح البصريين السابقين عليه والمعاصرين له وهو فقدان الخافض بما يناسب المصطلح الشائع عند الكوفيين ؟

---

(١٧٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ١٦ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣

(١٧٤) سورة الأعراف ا : ١٥٥

(١٧٥) كتاب سيبويه ١ : ٣٨ ، ٣٩

(١٧٦) معانى القرآن ١ : ٣٧٥ ، ٣ ، ٧٣ ، ٧٤

(١٧٧) تفسير الطبرى ٢ : ٥١٩ ، ٤ : ٥٩٩

(١٧٨) انظر المقتضب ٢ : ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٤ : ٣٣٠

وقد توسع مصنف كتاب الجمل فى مفهوم النصب بفقدان الخافض فمثل له بقوله تعالى : (إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه)[179] وجعل التقدير (بأوليائه) ، وإلى هذا ذهب ثعلب[180] ، وبقوله تعالى : (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)[181] وجعل التقدير (لعبده) ويقول فلما أسقط اللام نصب ، وبقوله تعالى : (أو عدل ذلك صياما)[182] وجعل التقدير (من صيام)، وبقوله تعالى (ماهذا بشرا)[183] وجعل التقدير (ببشر)، وبقوله تعالى: (واختار موسى) قومه سبعين رجلا)[184] وجعل التقدير (من قومه) وساق من الشعر سبعة أبيات ، فلم يخص مصنف الجمل هذا المفهوم أى « النصب بفقدان الخافض » بحذف حرف الجر ونصب ماكان مجرورا ، بل شمل معمول المصدر المنصوب فى نصب (عبده) ، والتمييز فى (صياما) وخبر ما الحجازية ، والمفعول معه فى قول الشاعر :

كونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال

وقال المصنف « أى مع بنى أبيكم فلما نزع (مع) نصبه » ، والمفعول لأجله فى قول الشاعر

وأغفر عوراء الكريم اصطناعه وأعرض عن شتم الكريم تكرما

وقال : « أى لاصطناعه »[186] .

وأرى أن هذا التوسع فى تطبيق مفهوم النصب بفقدان الخافض يشعر بأن المصنف سبق مرحلة تخصيص وجوه الإعراب بالأبواب النحوية إن لم يكن سابقا على سيبويه .

---

(١٧٩) سورة آل عمران : ١٧٥ وانظر الجمل : ٩٣

(١٨٠) انظر مجالس ثعلب : ٢ : ٥٥ ط ٢

(١٨١) سورة مريم آ . ٢ وانظر الجمل . ٩٣

(١٨٢) سورة المائدة آ . ٩٥ وانظر الجمل . ٩٣

(١٨٣) سورة يوسف آ : ٣١ وانظر الجمل : ٩٣

(١٨٤) سورة الأعراف آ . ١٥٥

(١٨٥) الجمل . ٩٥

(١٨٦) المرجع السابق . آ ٨٦

٢٢ ــ الصفة :

ورد هذا الاصطلاح فى كتاب الجمل مرادا به حرف الجر فقال : « تقول جئتك بأكرم من زيد . قال الله تعالى فى النساء : (فحيوا بأحسن منها أوردوها)[١٨٧] . ولم يصرف . وقال : (بأحسنِ ماكانوا يعملون)[١٨٨] فصرف أحسن لأن (ما) محل اسم ، ومِنْ صفة ، ولا تضاف صفة »[١٨٩] . وقال أيضا : « وأما لام الصفة قولهم فى لزيد ، ولعمرٍو ، ولحميد »[١٩٠] .

واصطلاح (الصفة) معروف عند الكوفيين قال الفراء : فلا تحذفن ألف (اسم) إذا أضفته إلى غير الله تبارك وتعالى ، ولاتحذفنها مع غير الباء من الصفات ، وإن كانت تلك الصفة حرفا واحدا مثل اللام والكاف »[١٩١] .

وقد استعمل مصنف كتاب الجمل مصطلح الصفة فى مواضع يحسن أن نعرضها .

الموضع الأول فى قوله : « وأما الفعل الذى يتوسط بين صفتين فهو نصب أبدا كقولك : أزيد فى الدار قائما فيها ؟ ومثله قول الله عز وجل : (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها)[١٩٢] يعنى أن « فى النار » صفة ، « وفيها » صفة فوقع « خالد بينهما . وخالدين تثنية وهو فعل ، فلايجوز فيه الرفع ومن قال من النحويين : إن الرفع جائز فقد لحن »[١٩٣] .

وهذا النص يوضح أن الصفة قد تطلق على الجار والمجرور معا . وأكاد أقول إن الفقرة كلها ممتلئة بالمصطلح المعروف بأنه كوفى ويشهد لذلك استعماله كلمة

(١٨٧) سورة النساء آ : ٨٦.

(١٨٨) سورة النحل آ : ٩٦

(١٨٩) الجمل : ١٧٢ ، ١٧٣

(١٩٠) السابق : ٢٤٩

(١٩١) معانى القرآن للفراء ١ : ٢ ، وانظر ١ : ٣١ ، ٣٢ ، ٣ : ١٤٦

(١٩٢) سورة الحشر آ : ١٧

(١٩٣) الجمل : ١١٥

الفعل مريدا بها الاسم المشتق ، وهذا استعمال شاع أنه كوفى ، ويعيننا فى ذلك قراءة النص الآتى للفراء : « وقوله : فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين) وهى فى قراءة عبد الله فكان عاقبتهما أنهما خالدان : وفى قراءتنا خالدين فيها . نصب ، ولأشتهى الرفع ، وإن كان يجوز ذلك أن الصفة قد عادت على النار مرتين والمعنى للخلود ، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت الفعل »(١٩٤) .

فكل من المصنف والفراء يطلق الفعل على الاسم المشتق ، والصفة على الجار والمجرور ، ومصنف كتاب الجمل يرى أن الرفع لحن ، والفراء لايشتهيه وإن كان جائزا . فهل كان المصنف سابقا على الفراء أم كان لاحقا له ؟ أعتقد أن هذه الجزئية لاتكون فيصلا فى الأمر لأن القضية قضية كل لا جزء .

الموضع الثانى : فى قوله : « خبر الصفة . تقول لزيد مال ، ولمحمد عقل ، وعليك قميص ، وفى الدار زيد واقف وإن شئت واقفا الرفع على خبر الصفة ، والنصب على الاستغناء وتمام الكلام »(١٩٥) .

فالصفة هنا أيضا يراد بها الجار والمجرور ، والرفع بخبر الصفة قريب من تعبير الكوفيين فى قولهم: الرفع بالصفة ، والمبتدأ والخبر مترافعان عندهم أى أن عامل الرفع فى المبتدأ الخبر وعامل الرفع فى الخبر المبتدأ . قال أبو بكر الأنبارى فى إعراب : « أمن أم أوفى دمنة » : « والدمنة رفع بالصفة »(١٩٦) وقال أيضا فى قول الحارث بن حلزة :

ثم خيل من بعد ذاك مع الغـ ـلاق لارأفة ولا إبقاء

« معناه : لا عندهم رأفة . والرأفة رفع بالصفة »(١٩٧) .

(١٩٤) معانى القرآن للفراء ٣ : ١٤٦

(١٩٥) الجمل : ١٣٩

(١٩٦) شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر الأنبارى ٢٣٨

(١٩٧) المرجع السابق : ٤٨٧

الموضع الثالث فى قوله : النصب على عدم الصفة يريد فقدان الخافض . قال المصنف فى تعليقه على قول هنى بن أحمر :

عجبا لتلك قضيةً وإقامتى فيكم على تلك القضية أعجب

« نصب قضية على عدم الصفة أى من قضية »[198] .

وينبغى أن نشير إلى أن مصنف كتاب الجمل وإن كان قد استعمل مصطلح الصفة مريدا به حرف الجر أو الجار والمجرور فقد استعمل أيضا مصطلح حرف الجر فى قوله : « يمينَ الله لأأزروك . نصبت لأنك نزعت حرف الجر »[199] ، كما عبر عن حرف الجر أيضا بالخافض وهذا واضح فى قوله فقدان الخافض وقد سبق بيان هذا المصطلح . كما عبر عن حرف الجر بكلمة الزائد فى قوله : فالباء الزائدة فى صدر الكلام حرف خفض نحو مررت بزيد »[200] . والتعبير بالباء الزائدة مرادا بها حرف الجر ورد مثله عند ابن خالويه فى قوله : « (لليسرى) جر باللام الزائدة »[201] وفى قوله : « (الصخر بالواو) « الصخر » مفعول به ، (وبالواو) جر بالياء الزائدة »[202] ، كما استعمل ابن خالويه التعبير بباء الصفة أيضا[203] .

وأستطيع أن أقول : أن « الصفة » ، و « الرفع بالصفة » من المصطلحات القديمة ولم يبتكرها الكوفيون بل هى تمثل مرحلة ماقبل استقرار المصطلح ونضجه إنها تلك المصطلحات التى بدأت مع البصريين السابقين فى الدرس النحوى وقد تجمدت هذه المصطلحات فى كتب الكوفيين بعدما هجرها البصريون ، ومن هنا وسمت مصطلحات الكوفيين بالغرابة والدليل على أن مصطلح الصفة مصطلح بصرى قديم قول الخليل فى كتاب العين : « النصب خزانة النحو ، والبصرة خزانة العرب أى معولهم عليه أكثر من سائره ، النصب فى الحال ، والقطع والوقف

(198) الجمل : 87
(199) السابق : 107
(200) السابق : 315
(201) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : 59
(202) السابق : 77 وانظر 110 ، 124 ، 126 ، 131 ، 132 ، 135 ، 140 ، 146 ، 150 ، 152 ، 177 ، 179 ، 194 ، 203 ، 215 ، 233 ، 242 .
(203) السابق : 133 ، 177 .

وإضمار الصفات »[٢٠٤] والمراد بإضمار الصفات : إسقاط حرف الجر أو فقدان الخافض أى النصب على نزع الخافض ، فعبر عن الحروف الجارة أو الحروف الخافضة بالصفات .

ونخرج من دراستنا للمصطلح فى كتاب الجمل بأنها مصطلحات ضاربة فى القدم تعد أصولا للمصطلح البصرى والكوفى فهى تمثل مرحلة ماقبل استقرار المصطلح ، وقد برز ذلك فى مصطلح القطع ، والصرف ، والصفة ، والنصب على فقدان الخافض ، والخفض بالجوار وغير ذلك مما سبق بيانه ، وهى بما أطلقتْ عليه لاتناسبُ مطلع القرن الرابع الذى ينتمى إليه ابن شقير طرف التنازع المعلن فى نسبة الكتاب .

ويشهد لذلك أيضا مابيناه من استعمال مصطلحات أو شبه مصطلحات لما يرتبط بالدلالة حينا ، ومايرتبط بالتركيب حينا آخر ، وتعدد المصطلحات بتعدد الجزئيات كالتمييز والتفسير ، والقطع والحال ، وخبر المعرفة إلى غير ذلك مما سبق تفصيله فى صفحات هذا الفصل .

وقد رأينا من المصطلحات بمفهومها الوارد فى كتاب الجمل ماتناوله الفراء بالنقد وقد كان الفراء على صلة بعلم البصريين وآرائهم .

ونصل أخيرا إلى أننا نرى فى تلك المصطلحات دليلا قويا على صحة نسبة كتاب الجمل للخليل بن أحمد إلى أن يظهر مايثبت نقيض ذلك .

---

(٢٠٤) العين ٤ : ٢٠٩

الفصل الرابع

الشواهد والأمثلة

الاستشهاد بالقرآن الكريم

بلغت الشواهد القرآنية فى كتاب الجمل ثلاثمائة وثمان وستين آية ، ورد منها فى كتاب سيبويه ست ومائة آية أى أن الوارد منها فى كتاب سيبويه يمثل ٢٨,٨٠٪ . وإذا تأملنا هذه الشواهد نجد أن المصنف كان حريصا على أن يذكر من القراءات مافى وسعه ، ولم ينسب قراءة لقارىء إلا فى موضعين : الأول قوله : « وفى قراءة عائشة رضى الله عنها (إنّ هذين لساحران)[١] » ، والآخر قوله : « وقد قرىء هذا الحرف ممدودا (آنذرتهم)[٢] ، قرأ عاصم وأبو عمرو بهمزتين »[٣] ، ويعرض القراءات فى المواضع الأخرى غفلا لايذكر اسم القارىء ، كما نجد المصنف يبدأ بالقراءة المناسبة للاستشهاد ثم يشير إلى القراءات الأخرى ويوجهها ومن نماذج ذلك :

١ ــ يورد قوله تعالى : (ياجبال أوبى معه والطيرَ)[٤] ثم يقول : « وعلى هذا يقرأ من يقرأ (ياجبال أوبى معه والطيرُ) على الرفع ومجازه ولتؤوب الطيرُ معه »[٥]

٢ ــ يقول المصنف : « كما قرىء هذا الحرف فى الأنعام (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسنُ)[٦] أى على الذى هو أحسن ، ومن قرأ (على الذى أحْسَنَ) فإن محله الخفض »[٧]

٣ ــ ويقول فى النصب بفقدان الخافض : « ومثله (ماهذا بشرا)[٨] أى ببشر . فلماأسقط الباء نصب .... وتميم ترفع .... ويقرءون (ماهذا

(١) الجمل : ١٣٥ والآية رقم ٦٣ من سورة طه .
(٢) سورة البقرة آ : ٦
(٣) الجمل : ٢٣١
(٤) سورة سبأ آ : ١٠ وانظر الجمل : ٨٣
(٥) الجمل : ٨٤
(٦) سورة الأنعام آ : ١٥٤
(٧) الجمل : ٨٩ .
(٨) سورة يوسف آ : ٣١

بشّر)[٩] ، فيجعلون هذا مبتدأ وبشر خبره »[١٠] .

٤ — ويقول : « وعلى هذا يقرءون فى سورة البقرة (إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضةٌ فما فوقها)[١١] بالرفع على معنى ابتداء وخبره ، ومن قرأ (مابعوضةً) جعل (ما) حشوا وصلة على معنى أن يضرب مثلا بعوضةً »[١٢] .

٥ — ويقول فى النصب بالقسم عند سقوط الواو : ومن قرأ (تنزيلَ العزيز الرحيم)[١٣] بالنصب أراد : تنزيلَ العزيز الرحيم على القسم فلما أسقط الواو منه نصب ومن رفع فالابتداء »[١٤] .

٦ — ويقول : « وكذلك قوله فى سبأ (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ، قل بلى وربكم لتأتينكم ، عالِمَ الغيب)[١٥] أراد : وعالِمِ الغيب . ويرفع على الابتداء »[١٦] .

٧ — « وقال عز وجل فى سورة النساء : (إلا أن تكون تجارة)[١٧] والمعنى إلا أن تقع تجارة . ومن قرأ : (تجارةً) فالمعنى إلا أن تكون التجارةُ تجارةً »[١٨] .

---

٩ — قرأ بالرفع ابن مسعود . انظر البحر المحيط ٥ : ٥٠٤ . ولم يخرج المحقق هذه القراءة .

١٠ — الجمل : ٩٣ ، ٩٤

١١ — سورة البقرة : ٢٦ ، وقرأ الجمهور بالنصب وقرأ بالرفع الضحاك وإبراهيم بن أبى عبلة ورؤبة بن العجاج وقطرب . انظر البحر ١ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وقرأ ابن كثير فى رواية شبل وابن محيصن ويعقوب يستحى بكسر الحاء وحذف الياء . انظر البحر ١ : ١٢١ . ولم يخرج المحقق هذه القراءة .

١٢ — الجمل : ٩٤

١٣ — سورة يس : ٥

١٤ — الجمل : ١٠٩ ، ١١٠

١٥ — سورة سبأ : ٣ . ولم أقف على القراءة بنصب عالم فى البحر ولا فى معانى القرآن للفراء ، ولا فى المحتسب ، ولا فى شواذ ابن خالويه ، ولا فى النشر ولا فى الاتحاف ولا فى إملاء مامن به الرحمن . ولم يخرجها المحقق .

١٦ — الجمل : ١١٠

١٧ — سورة النساء آ : ٢٩ . وقرأ عاصم بنصب تجارة وحاضرة وقرأ الباقون بالرفع . النشر ٢ : ٢٣٧

١٨ — الجمل : ١٢٤

٨ ـــ وقال : « قال الله عز وجل (وماكان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكمْ)[19] و (جواب) ينصب ويرفع على مافسرته لك ، ومثله : (فكان عاقبتهما أنهما فى النار)[20] ترفع عاقبتهما وتنصب »[21] .

٩ ـــ وقال : « قال الله عز وجل : (إن ربى يقذف بالحق علامُ الغيوب)[22] وإن شئت نصبت والرفع أحسن » ولم ينص هنا على أن النصب قراءة . وهكذا كان يصنع سيبويه أحيانا ومن بعده الفراء .

١٠ ـــ وقال : « ومثله فى كتاب الله : (تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا)[23] ، (يجعل) يرفع وينصب ويجزم »[24] .

١١ ـــ وقال : « وزعموا أن قول الله تبارك وتعالى : (ألقيا فى جهنم)[25] معناه ألقين للواحد بالنون »[26] .

ولانريد أن نستقصى نماذج تدل على تمكن المصنف من القراءات وإن لم يذكر من قرأبها فكل الكتاب يشهد له بذلك .

وبجانب ماتقدم نلاحظ أن المصنف إذا أورد آية ولم يذكر فيها قراءة أخرى فغالبا ماتتفق هذه القراءة مع قراءة أبى عمرو بن العلاء شيخ قراء البصرة ولغوييها . ونسوق نماذج على سبيل المثال لا الحصر .

---

١٩ ـــ سورة الأعراف آ : ٨٢

٢٠ ـــ سورة الحشر آ : ١٧

٢١ ـــ الجمل : ١٢٧

٢٢ ـــ سورة سبأ آ : ٤٨

٢٣ ـــ سورة الفرقان آ : ١٠ قرأ الجمهور يجعل بالجزم ، وقرأ مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وأبو بكر ومحبوب عن أبى عمرو بالرفع ، وقرأ عبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب على إضمار أن . انظر البحر ٦ : ٤٨٤ ، والمحتسب ٢ : ١١٨ ولم يخرج المحقق هذه القراءة .

٢٤ ـــ الجمل : ١٩٦

٢٥ ـــ سورة ق آ : ٢٤

٢٦ ـــ الجمل : ٢٣٩ . وروى أن الحسن قرأ ألقياً بنون التوكيد الخفيفة مختصر الشواذ لابن خالويه : ١٤٤ والمحتسب ٢ : ٢٨٤

١ ــ (وجاعلُ الليلِ سكنا والشمسَ والقمر حسبانا)[٢٧] . وقراءة « جاعل » بصيغة اسم الفاعل تتفق مع قراءة أبى عمرو فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائى « جعل » والباقون « جاعل »[٢٨] والآية من شواهد سيبويه بصيغة اسم الفاعل أيضا[٢٩] .

٢ ــ (وعاداً وثموداً وأصحاب الرس)[٣٠] .

القراءة بتنوين (ثموداً) تتفق مع قراءة أبى عمرو بن العلاء ، فقد قرأ حفص وحمزة ويعقوب (ثمودَ) من غير تنوين وقرأ الباقونَ بالتنوين[٣١] . والآية من شواهد سيبويه بالتنوين أيضا[٣٢] .

٣ ــ (وكتبنا عليهم فيها أن النفس والعين بالعين)[٣٣] .

يورد المصنف هذه الآية ثم يقول : « ثم قرءوا (والجروحُ قصاص) ويقال إنه عطف على موضع إن لأن موضعها مبتدأ »[٣٤] .

والقراءة برفع الجروح ونصب النفس والعين تتفق مع قراءة أبى عمرو . يقول ابن الجزرى : « واختلفوا فى العين والأنف والأذن والسن والجروح فقرأ الكسائى بالرفع فى الخمسة ووافقه فى الجروح خاصة ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر ، وقرأ الباقون بالنصب »[٣٥] .

٤ ــ وقال المصنف : « وأما قوله تعالى فى الأنبياء : (ونجيناه من الغم وكذلك نُجِّى المؤمنين) فأدغم إحدى النونين فى الأخرى »[٣٦] .

وهذه القراءة أى (نجِّى) تتفق مع ماروى عن أبى عمرو . قال ابن

---

٢٧ ــ سورة الأنعام آ : ٩٦ وانظر الجمل : ١٠٥

٢٨ ــ انظر إتحاف فضلاء البشر ٢ : ٢٣

٢٩ ــ انظر كتاب سيبويه ١ : ١٧٤ هارون

٣٠ ــ سورة الفرقان آ : ٣٩ . وانظر الجمل : ١٠٦

٣١ ــ انظر النشر ٢ : ٢٩٠ والاتحاف ٢ : ٣٠٨

٣٢ ــ انظر كتاب سيبويه ١ : ٨٩ هارون

٣٣ ــ سورة المائدة آ : ٤٥

٣٤ ــ الجمل : ١٣٠

٣٥ ــ النشر ٢ : ٢٥٤

٣٦ ــ الجمل : ٢٠٩ . والآية رقم ٨٨ من سورة الأنبياء .

مجاهد : « روى عبيد عن أبى عمرو ، وعبيد عن هارون عن أبى عمرو : نجيٌّ المؤمنين . كذلك قالا مدغمة »[٣٧] .

٥ ـــ وقال : ومنه قول الله تبارك وتعالى فى الحج فى حرف من قرأ (والمقيمى الصلاة) أراد المقيمين الصلاة فكف النون ونصب الصلاة بإيقاع الفعل عليها »[٣٨] .

والقراءة بحذف النون ونصب الصلاة هى قراءة أبى عمرو والحسن وابن أبى إسحاق[٣٩] .

٦ ـــ وقال : « قال الله تعالى : (ثم لِيقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق) ولام الأمر مكسورة أبدا إذا كانت فى الابتداء ، فإن تقدمها واو أو فاء كانت ساكنة »[٤٠] .

والقراءة بكسر لام الأمر بعد ثم هى قراءة أبى عمرو وورش وابن عامر ورويس[٤١] وقد نص سيبويه على إسكان لام الأمر بعد الواو والفاء فقط[٤٢] ، وجرى على ذلك المبرد فى المقتضب وعد القراءة بسكون اللام بعد ثم لحنا[٤٣] .

٧ ـــ وقال : « وبعضهم يسكن الهاء إذا تقدمها واو كما تقرأ : (وهْو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم)[٤٤] .

والقراءة بإسكان الهاء تتفق مع قراءة أبى عمرو[٤٥] .

هكذا كانت عناية المصنف بالقراءات وتوجيهها فى هذا الكتاب المختصر

---

٣٧ ـــ السبعة لابن مجاهد : ٤٣٠

٣٨ ـــ الجمل : ٢١٧ . والآية رقم ٣٥ من سورة الحج .

٣٩ ـــ انظر البحر المحيط ٦ : ٣٦٩

٤٠ ـــ الجمل : ٢٥٠ . والآية رقم ٢٩ من سورة الحج .

٤١ ـــ انظر إتحاف فضلاء البشر ، ٢ : ٢٧٢

٤٢ ـــ انظر كتاب سيبويه ٤ : ١٥١ ، ١٥٢

٤٣ ـــ انظر المقتضب ٢ : ١٣٤

٤٤ ـــ الجمل : ٢٦٧ ، والآية رقم ٣ من سورة الأنعام .

٤٥ ـــ انظر إتحاف فضلاء البشر ١ : ٣٨٣ ، ٣٨٤

الجامع ، وهذه العناية تشعر بأن مصنفة كان ملما بالقراءات وتوجيهها نحويا بما يلائم تصوره الوارد فى كتابه ، كما تشعر هذه العناية بسبقه فى التصنيف النحوى ولتستوضح هذه الصورة سنتابع استشهاده بالقرآن الكريم فى ضوء ماستشهد به سيبويه .

بتأمل معالجة المصنف للشواهد القرآنية نجدها تماثل معالجة سيبويه فى كثير من المواضع بل قد تجد تشابها فى العبارات ، وسنسوق بعضا من هذه النماذج بادئين بالشاهد ثم التعليق من الكتابين :

١ ـــ (هذا مالدى عتيد)(٤٦)

الجمل : « رفع عتيدا لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شيء عتيد عندى »(٤٧) .

كتاب سيبويه : « فرفعه على وجهين : على شيء لدى عتيد ... »(٤٨)

فكل منهما جعل ما نكرة بمعنى شيء وعتيد صفة لما وهذا معنى قول صاحب الجمل « رفع عتيدا لأنه خبر نكرة » أى نعت لـ (ما) التى قدرها بمعنى شيء . وهذا الوجه هو مايريده سيبويه أيضا .

٢ ـــ (قل بل ملة إبراهيم حنيفا)(٤٩)

الجمل : « نصب ملة على إضمار كلام كأنه قال بل نتبع ملة إبراهيم »(٥٠)

كتاب سيبويه : جاء فى باب مايضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره فى غير الأمر والنهى :

« ومن ذلك قوله عز وجل : (بل ملة إبراهيم حنيفا) أى بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا »(٥١) .

٤٦ ـــ سورة ق آ : ٢٣
٤٧ ـــ الجمل : ٤٠
٤٨ ـــ كتاب سيبويه ٢ : ١٦ هارون
٤٩ ـــ سورة البقرة : ١٣٥
٥٠ ـــ الجمل : ٦٩ ، ٧٠
٥١ ـــ كتاب سيبويه ١ : ٢٥٧ هارون

٣ — (وجاعل الليل سكنا والشمسَ والقمرَ حسبانا)[٥٢] .

الجمل : أورد الآية فى معرض حديثه عن كثرة الإضمار والحذف فى الكلام وقال : وتقول : هذا ضارب زيد وعمراً . نصبت على ضمير فعل كأنك قلت وتضرب عمراً ثم يذكر الآية ويقول « نصب الشمس والقمر على معنى وجعل الشمس والقمر حسبانا »[٥٣] .

كتاب سيبويه : أورد الآية فى معرض الحديث عن العطف على المضاف إلى اسم الفاعل وقال : « وتقول فى هذا الباب : هذا ضارب زيد وعمرو .... وإن شئت نصبت على المعنى وتضمر له ناصبا فتقول : هذا ضارب زيد وعمراً كأنه قال وتضرب عمراً ... وكلما طال الكلام كان أقوى »[٥٤] ثم أورد الآية الكريمة .

فكل من المصنفين يضمر فعلا ناصبا للشمس مع الاتفاق فى المثال السابق على الآية .

٤ — (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون)[٥٥] .

الجمل : « رفع الصابئين على الابتداء ولم يعطف على ماقبله »[٥٦] .

كتاب سيبويه : « وأما قوله عز وجل (الصابئون) فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله الصابئين بعد مامضى الخبر »[٥٧] .

٥ — (ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ)[٥٨] .

الجمل : « رفع بلاغا على معنى ولاتستعجل . ثم قال : لهم بلاغ . وقال بعضهم : رفع بلاغا على إضمار هذا بلاغ »[٥٩] .

٥٢ — سورة الأنعام آ : ٩٦

٥٣ — الجمل : ١٠٥

٥٤ — كتاب سيبويه ١ : ١٦٩ ثم ١٧٤ هارون

٥٥ — سورة المائدة آ : ٦٩

٥٦ — الجمل : ١٢٩

٥٧ — كتاب سيبويه ٢ : ١٥٥

٥٨ — سورة الأحقاف آ : ٣٥

٥٩ — الجمل : ١٧١ وانظر ١٤٢ أيضا .

كتاب سيبويه : « هذا باب مايكون المصدر فيه توكيدا لنفسته نصبا ... وقد يجوز الرفع فيما ذكرنا أجمع على أن يضمر شيئا هو المظهر ... ومن ذلك قوله جل وعزّ : (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) كأنه قال ذاك بلاغ »[٦٠] .

فمصنف كتاب الجمل ذكر وجهين لرفع بلاغ ، التقى مع سيبويه فى الوجه الثانى وهو تقدير مبتدأ ، والتقدير هذا بلاغ .

أما التوجيه الأول الوارد فى كتاب الجمل ففيه نظر لأنه جعل الوقف على فلا تستعجل و « لهم » ليست متعلقة بـ (تستعجل) إنما هى خبر مقدم وبلاغ مبتدأ مؤخر ، وقد علق أبو حيان على هذا التوجيه بقوله : قال أبو مجلز[٦١] : بلاغ مبتدأ وخبره لهم ويقف على تستعجل . وهذا ليس بجيد لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض إذ ظاهر قوله (لهم) أنه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم ، ولحيلولة الجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدأ »[٦٢] .

فهل وقف سيبويه على هذا التوجيه وانصرف عنه لأنه لم يسلم به ؟

٦ — (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)[٦٣] .

الجمل : « ثم ذرهم فى خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع ولولا ذلك لكان يلعبوا جزما على جواب الأمر »[٦٤] .

كتاب سيبويه : « ذره يقلْ ذاك ، وذره يقولُ ذاك فالرفع من وجهين فأحدهما الابتداء والآخر على قولك : ذره قائلا ذاك ، فتجعل يقول فى موضع قائل فمثل الجزم قوله عز وجل : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل ، ومثل الرفع قوله تعالى جده : ذرهم فى خوفهم يلعبون »[٦٥] .

---

٦٠ — كتاب سيبويه ١ : ٣٨٢

٦١ — أبو مِجْلَز هولا حق بن حميد السدوسى البصرى تابعىّ . انظر القاموس : جلز وانظر غاية النهاية ٢ : ٣٦٢

٦٢ — البحر المحيط ٨ : ٦٩

٦٣ — سورة الأنعام آ : ٩١

٦٤ — الجمل : ١٤٢

٦٥ — الكتاب ٣ : ٩٨

فتقدير صاحب الجمل يلعبون بلاعبين يتفق مع قول سيبويه : « ذره قائلا ذاك ، فتجعل يقول فى موضع قائل » وهذا مايعنيه أيضا سيبويه فى تقدير يلعبون .

٧ — (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا)(٦٦) .

الجمل : « وقال بعضهم إلا فى موضع الواو ، ومثله قول الله تعالى فى يونس : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا) معناه فهلا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ، أى : وقوم يونس لما آمنوا . وإلا فى موضع الواو . وإنما نصب قوم يونس لأن إلا بمعنى لكنّ قوم يونس لأن إلا تحقيق ولكن تحقيق »(٦٧) .

كتاب سيبويه : « هذا باب مالايكون إلا على معنى « ولكنّ » وأورد الآية ثم قال : ولكنَّ قوم يونس لما آمنوا »(٦٨) .

فمصنف كتاب الجمل يعرض رأى من قال إن إلاّ فى الآية بمعنى الواو ويرى أنها بمعنى لكنَّ وهذا الرأى هو مااختاره سيبويه .

٨ — (رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصّدق وأكنْ من الصالحين)(٦٩) .

الجمل : « أى هلاَّ أخرتنى فأصدق ، نصب أصّدق لأنه جواب الاستفهام بالفاء ثم قال : « وأكن » فجزم على معنى هلاّ أخرتنى وأكنْ كأنه جعله نسقا بالواو على جواب الاستفهام ولم يعبأ بعمل الفاء »(٧٠) .

كتاب سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله (فأصدق وأكن من الصالحين) فقال ... فكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه تكلموا بالثانى وكأنهم جزموا قبله »(٧١) .

---

٦٦ — سورة يونس ا : ٩٨

٦٧ — الجمل : ١٥٥

٦٨ — كتاب سيبويه ٢ : ٣٢٥ هارون

٦٩ — سورة المنافقون آ : ١٠

٧٠ — الجمل : ١٩٤

٧١ — كتاب سيبويه ٣ : ١٠٠ هارون

فما نسبه سيبويه للخليل فى توجيه الجزم فى قوله : « وأكنْ » قائم على توهم حذف الفاء من فأصدق وجزمه وعطف « أكنْ » عليه .

٩ — (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب)[٧٢] .

الجمل : « جزم يضاعف على البدل »[٧٣] .

كتاب سيبويه : « وسألته عن قوله جل وعزّ : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة) فقال هذا كالأول لأن مضاعفة العذاب هى لقى الآثام »[٧٤] .

١٠ — (فبم تبشرون)[٧٥] .

الجمل : « بنون واحدة . وقال بعض العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد أسقطوا أحد الحرفين واكتفوا بواحد »[٧٦] .

كتاب سيبويه : « بلغنا أن بعض القراء قرأ : (أتحاجونى)[٧٧] ، وكان يقرأ : (فبم تبشرون) . وهى قراءة أهل المدينة . وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف »[٧٨] .

فالاكتفاء بحرف واحد تساوى استثقال التضعيف .

١١ — (صبغة الله)[٧٩]

الجمل : « وأما نصب صبغة الله فعلى معنى فعل مضمر اطرح لعلم المخاطب بمعناه وهو الزموا صبغة الله . والصبغة الدين »[٨٠] .

كتاب سيبويه : « فقال قوم صبغة الله منصوبة على الأمر ، وقال

---

٧٢ — سورة الفرقان آ : ٦٨ ، ٦٩

٧٣ — الجمل . ١٩٧

٧٤ — كتاب سيبويه ٣ : ٨٧ سبق عرض المقابلة بين الكتابين فى الفصل الثانى ص ٣٣ — ٦٢

٧٥ — سورة الحجر آ : ٥٤

٧٦ — الجمل : ٢٠٩

٧٧ — سورة الأنعام آ : ٨٠

٧٨ — كتاب سيبويه ٣ · ٥١٩ هارون

٧٩ — سورة البقرة آ : ١٣٨

٨٠ — الجمل : ٦٩

بعضهم : لا بل توكيدا ، والصبغة الدين »[٨١] .

فقد ذكر سيبويه توجيهين لنصب « صبغة » التوجيه الأول يتفق مع ماجاء فى كتاب الجمل لأن مراد سيبويه بقوله مصوبة على الأمر أى بفعل أمر محذوف ، وهذا مانص عليه صاحب الجمل . ويلفت النظر أيضا حرص كل من الرجلين على توضيح معنى الصبغة بعبارة واحدة هى : « والصبغة الدين » .

ونستطيع أن نقول إن الصلة بين كتاب الجمل وكتاب سيبويه غير خفية فيما عرضنا من معالجة بعض الآيات . ولكن الأمر لاينتهى بالصلة بين كتاب الجمل وكتاب سيبويه فى هذا الأمر بل نجد الصلة أيضا قائمة بين كتاب الجمل ومعانى القرآن للفراء ويمكن أن نلمس ذلك بالموازنة بين النماذج الآتية :ـــ

١ ـــ (ماإن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة)[٨٢] .

الجمل : « والنصب الذى فاعله ومفعوله فاعله ... ومثله : (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه : لتنوء العصبة بمفاتحه »[٨٣] .

معانى القرآن للفراء : « وقد قال رجل من أهل العربية إن المعنى ماإن العصبة لتنوء بمفاتحه فحول الفعل إلى المفاتح »[٨٤] .

فما نسبه الفراء إلى رجل من أهل العربية نجده مستقرا فى كتاب الجمل المنسوب للخليل فمن الذى كان يعنيه الفراء ؟ أكان يعنى الخليل ؟ أم كان يعنى أبا عبيدة ؟

٢ ـــ (ياحسرةً على العباد)[٨٥]

الجمل : « والنصب من نداء النكرة الموصوفة . قولهم يارجلا فى

---

٨١ ـــ كتاب سيبويه ١ : ٣٨٢

٨٢ ـــ سورة القصص آ : ٧٦

٨٣ ـــ الجمل : ٥٠

٨٤ ـــ معانى القرآن للفراء ٢ : ٣١٠

٨٥ ـــ سورة يس آ : ٣٠

* . انظر ص ١١٩

الدار وياغلاما ظريفا ... ونحوه قول الله تبارك وتعالى فى يس : (ياحسرة على العباد)[٨٦] .

معانى القرآن للفراء : « والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء وآثرت النصب يقولون :

يارجلا كريما أقبل ، وياراكبا على البعير أقبل[٨٧]

وقد يطلق الكوفيون « الصلة » على « الصفة »[٨٨] .

٣ ــ (فضربَ الرقاب)[٨٩]

الجمل : « النصب بالأمر . قولهم صبرا وحديثا ، أى اصبر وحدث قال الله عز وجل فى سورة محمد ، فضربَ الرقاب معناه فاضربوا الرقاب »[٩٠]

معانى القرآن للفراء : فضربَ الرقاب . نصب على الأمر[٩١]

٤ ــ (ياجبال أوبى معه والطيرَ)[٩٢]

الجمل : « نصب الطير لأن حرف النداء يقع عليه ، ولم يجز أن تقول : « ياالفضل » فنصبت على خلاف النداء »[٩٣]

معانى القرآن : « والطير منصوبة على جهتين .... والوجه الآخر بالنداء لأنك إذا قلت ياعمرُو والصَّلْتَ أقبلا نصبت الصلتَ لأنه إنما يدعى يأيها فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنصب »[٩٤] .

فالنصب على خلاف النداء يساوى النصب للعدول عن جهة النداء .

---

٨٦ ــ الجمل : ٥٢

٨٧ ــ معانى القرآن للفراء ٢ : ٣٧٥

٨٨ ــ انظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض : ٣٠٤

٨٩ ــ سورة محمد آ : ٤

٩٠ ــ الجمل : ٥٩

٩١ ــ معانى القرآن للفراء ٣ : ٥٧

٩٢ ــ سورة سبأ آ : ١٠

٩٣ ــ الجمل : ٨٣ ، ٨٤

٩٤ ــ معانى القرآن للفراء ٢ : ٣٥٥

٥ ـــ (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله)[٩٥]

الجمل : « معناه ألا تعبدوا . فلما أسقط حرف الناصب رفع فقال لاتعبدون »[٩٦]

معانى القرآن : « رفعت تعبدون لأن دخول « أن » يصلح فيها فلما حذف الناصب رفعت »[٩٧]

٦ ـــ (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)[٩٨]

الجمل : « معناه والذين ظلموا منهم »[٩٩] يريد أن « إلا » بمعنى الواو .

معانى القرآن : « وقال بعض النحويين إلا فى هذا الموضع بمنزلة الواو كأنه قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا للذين ظلموا . فهذا صواب فى التفسير خطأ فى العربية ، إنما تكون « إلا بمنزلة » « الواو » إذا عطفتها على الاستثناء قبلها فهناك تصير بمنزلة الواو »[١٠٠] .

وهنا نجد الفراء يرفض رأى من قال إن « إلا » فى الآية الكريمة بمعنى الواو دون أن يعين واحدا منهم مكتفيا بقوله : وقال بعض النحويين . والذى يعنينا هنا أن الرأى الوارد فى كتاب الجمل كان سابقا على الفراء .

٧ ـــ (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)[١٠١]

الجمل : « معناه ثم ذرهم فى خوضهم لاعبين فصرف من النصب إلى الرفع »[١٠٢]

معانى القرآن : « ولم يقل يلعبوا . فأما رفعه فأن تجعل(يلعبون) فى موضع نصب كأنك قلت فى الكلام : ذرهم لاعبين »[١٠٣]

٩٥ ـــ سورة البقرة آ : ٨٣
٩٦ ـــ الجمل : ١٤٠
٩٧ ـــ معانى القرآن للفراء ١ : ٥٣
٩٨ ـــ سورة البقرة آ : ١٥٠
٩٩ ـــ الجمل ١٤٧
١٠٠ ـــ معانى القرآن للفراء ١ : ٨٩
١٠١ ـــ سورة الأنعام آ : ٩١
١٠٢ ـــ الجمل : ١٤٢
١٠٣ ـــ معانى القرآن ١ : ١٥٨

وهذا التقدير الذى ذكره الفراء توضيح لما جاء فى الجمل : « فصرف من النصب إلى الرفع » .

ويحسن أن نشير إلى مانلمحه من ظلال لكتاب الجمل فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ت ٢٠٨ أو ٢٠٩ أو ٢١٠ أو ٢١١) ونحن بصدد الشواهد القرآنية فقد كان أبو عبيدة معاصرا للخليل وسيبويه والفراء ، وكتابه فى صدر كتب التراث .

١ ـــ (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)[١٠٤]

الجمل : يعلق المصنف على قول الفرزدق :

وعضُّ زمانٍ يابـن مروان لم يدع ... من المال إلامسحتٌ أومجلـفُ

بقوله : ومن روى : مُسْحِت ومُجَلِّف بكسر الحاء واللام فى مجلف فإنه رفعه على الموالاة ، لأنه جعل « إلا » بمنزلة الواو ... ومنه قول الله جل وعز (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلاتخشوهم واخشونِ) معناه والذين ظلموا منهم . قال الشاعر : ـ

ماكان أسرعَ من تفـرق فالج ... فلبونُه جربت معـا وأغـدَّتِ

إلاكنـاشرةَ الـذى ضيعتم ... كالغصنِ فى غُلَوائه المتنـبِّت

ثم يقول : ومنه قول الأعشى :

إلا كخارجة المكلِف نفسه ... وابنى قبيصة أن أغيب ويشهدا »[١٠٥]

مجاز القرآن : « يورد أبو عبيدة الآية ويعلق بقوله : « موضع إلا هاهنا ليس بموضع استثناء إنما هو موضع واو لموالاة ومجازها لئلا يكون للناس عليكم حجة وللذين ظلموا »[١٠٦] ثم يذكر الأبيات الواردة فى كتاب الجمل مع تقديم بيت الأعشى .

ومما يلفت النظر اتفاق النصين فى التعبير بواو المولاة ، وفى الاستشهاد بالأبيات نفسها . وسبق أن ذكرنا رأى الفراء فى مجىء إلا بمعنى الواو . ونسب ذلك لبعض النحويين دون أن يعينهم .

١٠٤ ـــ سورة البقرة آ : ١٥٠

١٠٥ ـــ الجمل : ١٤٦ ، ١٤٧

١٠٦ ـــ مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٦٠

٢ — (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)[١٠٧] .

الجمل : « النصب بالمشاركة ... ومنه وليس بعينه قولك ضربت زيدا ، وعمراً أكرمت أخاه ... قال الله جل ذكره فى الأعراف (فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة) نصب « فريقا » الثانى على المشاركة .... وقال فى « هل أتى » : (يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب الظالمين على هذا »[١٠٨] .

مجاز القرآن : علق أبو عبيدة على الآية الأولى بقوله : « نصبهما جميعا على إعمال الفعل فيهما أى هدى فريقا ثم أشرك الآخر فى نصب الأول ، وإن لم يدخل فى معناه ، والعرب تدخل المشرك بنصب ماقبله على الجوار وإن لم يكن فى معناه ، وفى آية أخرى (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) »[١٠٩] .

فكل من المصنفين يعرض للآيتين ويتناولان النصب بالمشاركة مع غرابة المصطلح ، ونلاحظ فى كلام أبى عبيدة إيضاح مفهوم المشاركة الذى لم يتضح من كلام مصنف كتاب الجمل . والأمر لايعدو أن يكون مسألة من مسائل الاشتغال .

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه لم يستعمل مصطلح المشاركة بهذا المعنى كما لم يستعمل مصطلح الاشتغال ولكن استعمل مادته فى قوله : فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت زيدٌ ضربته فلزمته الهاء ... وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا فى المضمر ، وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشىء »[١١٠]

٣ — (أتجعل فيها من يفسد فيها)[١١١]

١٠٧ — سورة الأعراف ١ : ٣٠

١٠٨ — الجمل : ١٦

١٠٩ — مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٣

١١٠ — كتاب سيبويه ١ : ٨١ هارون .

١١١ — سورة البقرة ١ : ٣٠

الجمل : « وأما ألف التحقيق والإيجاب .... ومنه قول الله تعالى ، تخبيرا عن ملائكته حين قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها) معناهم فيها الايجاب أى ستجعل ، والله جل وعزّ لايستخبر ، ومنه قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايـــا وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح

قوله ألستم تحقيق أوجب عليهم فعلهم إنهم خير من ركب المطايا . فحقق وأوجب ولو كان استفهاما لم يكن مدحا ولكان قريبا من الهجاء ولم يعط جرير على هذا البيت مائة ناقة برعاتها »[١١٢] .

مجاز القرآن : « (أتجعل فيها من يفسد فيها) جاءت على لفظ الاستفهام ، والملائكة لم تستفهم ربها . وقد قال تبارك وتعالى : (إنى جاعل فى الأرض خليفة) ولكن معناه الإيجاب أى أنك ستفعل . وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايـــا وأنـدى العـالمين بطـون راح[١١٣]

وقال أبو عبيدة فى موضع آخر معلقا على بيت جرير هذا : « ولم يستفهم ، ولو كان استفهاما ماأعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها »[١١٤] .

والتقارب واضح بين ماجاء فى كتاب الجمل وماجاء فى إعجاز القرآن فى التعليق على الآية : « معناهم فيها معنى الإيجاب أى ستجعل » و « معناه الإيجاب أى أنك ستفعل » وفى الاستشهاد ببيت جرير ، وفى التعليق على البيت .

٤ ــ (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى)[١١٥]

١١٢ ــ الجمل : ٢٤٧ ، ٢٤٨

١١٣ ــ مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٥

١١٤ ــ مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٤

١١٥ ــ سورة الرعد آ : ٣١

الجمل : « والمضمر فى الكلام كثير ... ومثله فى الرعد (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا) فكف الخبر وأضمر الجواب ، كأنه قال : لسارت الجبالِ ، وتقطعت الأرض وتكلمت الموتى ، فاكتفى بالأول عن الجواب المضمر فى الكلام »[116] .

مجاز القرآن : « مجازه مجاز المكفوف عن خبره ثم استؤنف فقال بل لله الأمر جميعا ، فمجازه لو سيرت به الجبال لسارت أو قطعت به الأرض لتقطعت ، ولو كلم به الموتى لنشرت ، والعرب تفعل ذلك لعلم المستمع به استغناء عنه واستخفافا فى كلامهم »[117] .

والتقارب بين النصين غنى عن البيان .

٥ — (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة)[118]

الجمل : « والنصب الذى فاعله مفعول ومفعوله فاعل .... ومثله : (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتنوء العصبة بمفاتحه »[119] .

مجاز القرآن : من مجازه مايحول فعل الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول قال : (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة) والعصبة هى التى تنوء بالمفاتح »[120] .

وقال أبو عبيدة فى موضع آخر : فى القرآن (ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة) ماإن العصبة لتنوء بالمفاتح »[121] .

وأرى الصلة بين مضمون العبارتين : « النصب الذى فاعله مفعول ومفعول فاعل » و « مايحول فعل الفاعل إلى المفعول » وكذلك بين

---

١١٦ — الجمل : ١٠٢ ، ١٠٣

١١٧ — مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣١

١١٨ — سورة القصص آ : ٧٦

١١٩ — الجمل : ٥٠

١٢٠ — مجاز القرآن ١ : ١٢

١٢١ — المرجع السابق ١ : ٦٤

العبارتين : « لتنوء العصبة بمفاتحه » و « إن العصبة لتنوء بالمفاتح » .

٦ ــ (والصابرين فى البأساء والضراء)[١٢٢]

الجمل : « ورعم يونس النحوى أن نصب هذا الحرف على المدح فى سورة النساء (والمقيمين الصلاة) و (الصابرين فى البأساء والضراء) قال الشاعر :

لايبعدنْ قومى الذين همُ ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبين معاقِد الأزر

نصب النازلين والطيبين على المدح . ويروى بعضهم والطيبون . وينشد على ثلاثة أوجه . ويقول : إذا طال كلام العرب بالرفع نصبوا ثم رجعوا إلى الرفع »[١٢٣] .

مجاز القرآن : « والموفون بعهدهم) رفعت على مولاة قوله : ولكن البر من آمن بالله) ... ثم أخرجوا (والصابرين فى البأساء من الأسماء المرفوعة . والعرب تفعل ذلك إذا كثر الكلام سمعت من ينشد بيت خرنق بنت هِفَّان من بنى سعد بن ضبيعة رهط الأعشى :

ألا يبعدون قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبين معاقِد الأزر

فيخرجون البيت الثانى من الرفع إلى النصب »[١٢٤]

وقال أبو عبيدة فى موضع آخر : والعرب تخرج من الرفع إلى النصب إذا كثر الكلام ثم يعودون إلى الرفع قالت خرنق .. »[١٢٥] وأورد البيتين السابقين مع رفع (والطيبون) .

---

١٢٢ ــ سورة البقرة آ : ١٧٧
١٢٣ ــ الجمل : ٦١ ، ٦٢
١٢٤ ــ مجاز القرآن ١ : ٦٥
١٢٥ ــ مرجع السابق ١ : ١٤٢ ، ١٤٣

والذى يعنينا من الموازنة بين ماجاء فى كتاب الجمل وماجاء فى كتاب مجاز القرآن أمران : الأول : الاتفاق فى أن العرب تخرج من الرفع إلى النصب ثم تعود إلى الرفع ، والثانى : اقتران توجيه النصب فى الآية الكريمة بأبيات خرنق . حقا هذا الارتباط موجود فى كتاب سيبويه لكن خروج من الرفع إلى النصب إذا طال الكلام وعودتهم إلى الرفع ثانية غير وارد مع أن الرواية فى كتاب سيبويه (والطيبون) بالرفع فى مواضع ثلاثة وبرفع (النازلون) فى موضع واحد منها[١٣٦] .

وبعد بيان الصلة بين معالجة مصنف كتاب الجمل للشواهد القرآنية نحويا وبين من وصلت إلينا كتبهم من الرعيل الأول يعن لنا سؤال : أكان المصنف لاحقا لكل من سيبويه والفراء وأبى عبيدة فأخذ عنهم أم كان من السابقين لهؤلاء وذاع علمه فأخذ عنه من أخذ ومن بينهم هؤلاء الأقطاب الثلاثة ؟

إن الأمر الذى نطمئن إليه هو أن مصنف الكتاب كان سابقا على هؤلاء فقد بدالناإلمامه بالقراءات فى كل آية يوردها وتمكنه من توجيهها نحويا بما يتفق مع الصورة العامة التى قدمها فى كتابه وهذا الإلمام وتلك الإجادة ليسا ببعيدين على رجل مثل الخليل الذى سلكه ابن الجزرى فى طبقات القراء وهو حجة النحو الأول الماثل فى كتاب سيبويه . كما بدت الصلة القوية بين معالجته للآيات ومعالجة سيبويه لما أورده منها وبخاصة ماسأل عنه الخليلَ بن أحمد ، وهذه الصلة تشير إلى تقدم مصنف كتاب الجمل على سيبويه . ويؤيد ذلك أيضا تعليق الفراء على توجيه بعض الآيات نحويا وهذه التوجيهات ماثلة فى كتاب الجمل كما بينا ، وفى ذلك دليل على ظهور هذه التوجيهات قبل الفراء وليس هناك مايمنع أن يكون صاحبها هو الخليل وقد وردت فى الكتاب المنسوب إليه .

١٣٦ — انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٠٢ ، ٢ : ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤

أما الصلة التى نلمسها بين بعض ماجاء فى كتاب الجمل وبعض ماجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة فإننا نرى أن أبا عبيدة قد أفاد من علم الخليل بن أحمد ، فقد كان أبو عبيدة لغويا ومن أجمع الناس للعلم ، ومعاصرا للخليل بالبصرة وقد صنف كتاب مجاز القرآن بعد سنة ١٨٨ هـ[١٢٧] أى بعد وفاة الخليل بثلاث عشرة سنة .

١٢٧ ـــ استقدم الفضل بن الربيع أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد بعد سنة ١٨٨ وسأله ابراهيم بن اسماعيل ابن داود الكاتب عن قوله تعالى (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وفسر أبو عبيدة ماأراد . وعزم أبو عبيدة على أن يؤلف كتاب المجاز ، ولما عاد إلى البصرة ألف كتابه المعروف بمجاز القرآن . انظر : ثمار القلوب : ٧٨ ، ونزهة الألباء : ١٠٧ ، ١٠٨ . وبغية الوعاة ٢ : ٢٩٦

الاستشهاد بالحديث النبوى

لقد استشهد المصنف بحديث واحد وهو قول الرسول ﷺ : « لتأخذوا مصافكم »[١٢٨] . وليس بغريب على الخليل أن يستشهد بحديث لرسول الله ﷺ ، فقد استشهد فى الجزء الأول من كتاب العين بأربعة وعشرين حديثا ، لأنه وهو بصدد معانى المفردات أحوج إلى هذه المادة اللغوية . والحق أن الأحاديث النبوية لم تشغل النحويين فى دراستهم لمسائل النحو ويدل على ذلك أن سيبويه لم يسأل شيخه الخليل عن توجيه نحوى لحديث من الأحاديث النبوية وإنما كان يسأله عن آية أو بيت من الشعر أو عن قول للعرب ولذلك جاءت الأحاديث فى كتاب سيبويه تعد على أصابع اليد الواحدة .

فورود الحديث فى كتاب ينسب للخليل لايقدح فى نسبته إليه على زعم أن الاستشهاد بالحديث كان فى وقت متأخر .

١٢٨ ــ انظر الجمل : ٢٥٠

الاستشهاد بالشعر

بلغت الشواهد من الشعر فى هذا الكتاب أربعمائة وأربعة عشر بيتا منها مائة وست وتسعون بيتا واردة فى كتاب سيبويه .

ونرى أنه من المفيد أن نوازن بين معالجة المصنف ومعالجة سيبويه للشواهد المشتركة فى الكتابين . وقد سبق أن تناولنا طائفة من شواهد الشعر أثناء تناولنا لآراء الخليل الواردة فى كتاب سيبويه ، فقد كان بعض هذه الآراء مرتبطاً بشواهد من الشعر ولذلك لن نحتاج إلى إعادتها هنا .

١ ــ **جاء فى كتاب الجمل** : « والنصب من المصادر ... قولهم أنت سيرا سيراً وماهو إلا السيرَ السيرَ ، ومأأنتَ إلا شربَ الإبل ، وإلا ضرب الناس ، ولا تنوين فى شربَ لأنه لايتعدى إلى الإبل . قال الشاعر :

ألم تعلمْ مُسَرَّحِيَ القوافى ؟ فلا عيابهن ولا اجتلابا

أى فلا أعيابهن ولا أجتلب »[1] .

قال سيبويه : هذا باب ماينتصب فيه المصدر ... وذلك قولك : مأنت إلا سيراً ، وإلا سيراً سيراً ... ومن ذلك قولك : مأأنت إلا شرب الإبل ، ومأأنت إلا ضرب الناس وإلا ضربا الناس ، وأما شرب الإبل فلا ينون لأنك لم تشبهه بشرب الإبل ، وأن شرب الإبل ليس بفعل يقع منك على الإبل ... ثم يقول : ومثله قول الشاعر وهو جرير :

ألم تعلم مسرحى القوافى فلا عيابهن ولا اجتلابا

كأنه نفى قوله : فعيابهن واجتلالا أى فأنا أعيابهن عيا ، وأجتلبهن اجتلابا ولكنه نفى هذا حين قال : فلا »[2]

ونلاحظ طول العنوان فى الكتابين ، وإن الأمثلة تكاد تكون واحدة بل فيها ماهو بنصه ، والتعليق على عدم تنوين شرب الإبل واحد فى الكتابين

١ ــ الجمل : ١١٥ ، ١١٦

٢ ــ كتاب سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ هارون

أيضا ، كما نلاحظ الاتفاق فى الشاهد والتعليق عليه ويمكن أن نقول : إن ماجاء مختصرا فى كتاب الجمل جاء مبسوطا فى كتاب سيبويه .

٢ ــ **جاء فى كتاب الجمل** : « والنصب بالاستفهام . قولهم : أقعودا والناس قيام ؟ ... قال الشاعر :

أطربـــــــا وأنت قِنَّسْرِىّ والدهـــــر بالإنسان دَوَّارِىّ

أراد تطرب طربا . وقال الآخر :

أعبداً حل فى شعبــى غريبــا ألؤمــا لاأبــالك واغترابـــا

أراد : تجمع لؤما واغترابا وقال الآخر :

أفى الـــولائم أولاداً لواحــــدة وفى العيـــادة أولاداً لعـــلات ؟

وقال سيبويه : « وأما ماينتصب فى الاستفهام من هذا الباب قولك أقياما يافلان والناس قعود .... وقال الراجز وهو العجاج :

أطربا وأنت قِنَّسْرِى

وإنما أراد أتطرب أى أنت فى حال طرب ؟

وقال جرير :

أعبدا حل فى شعبــى غريبــا ألؤمــا لاأبــالك واغترابـــا

يقول أتلؤم لؤما ، وأتغترب اغترابا[٤]

ثم يعقد سيبويه بابا متصلا بما سبق بعنوان : باب ماجرى من الأسماء التى لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أخذت من الفعل . ويورد فيه قول الشاعر :

أفى الـــولائم أولادا لواحـــــدة وفى العيادة أولاداً لعلات[٥]

ونلاحظ أن ماجاء فى كتاب الجمل كأنه اختصار لما ورد فى كتاب سيبويه أو كأن ماجاء فى كتاب سيبويه تفصيل لما أجمل فى كتاب الجمل . فالعنوان فى الجمل عام شمل المصادر والمشتقات والاسماء الجامدة

---

٣ ــ الجمل : ٨٧

٤ ــ كتاب سيبويه ١ : ٣٣٨ ، ٣٣٩ هارون .

٥ ــ المرجع السابق ١ : ٣٤٣ ، ٣٤٤

وشبه الجامدة التى تقع فى إطار الاستفهام مثل أقعودا ، أطربا ، ألؤما ، واغترابا ، أقرشيا ، تميميا . أما سيبويه فقد جعل بابا للمصادر ، وثانيا للاسم المأخوذ من الفعل ، وثالثا للاسم غير المأخوذ من الفعل . والشواهد هى هى فى الكتابين مع زيادة فى كتاب سيبويه والأمثلة متقاربة جدا تدرك بالملاحظة :

٣ — جاء فى الجمل : « وقد يكون « كان » فى معنى « جاء » و « خلق الله » .. قال الشاعر :

فِدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى ... إذا كان يومٌ ذو كواكب أشهبُ

أى إذا وقع . وأما قول عنترة :

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا ... إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

فإنه أراد إذا كان اليوم يوما ذا كواكب »(٦)

وقال **سيبويه** : « وقد يكون لكان موضع آخر يقتصر على الفاعل فيه تقول قد كان عبد الله أى خُلق عبد الله ، وقد كان الأمر أى وقع ... فمما جاء على وقع قوله وهو مقاس العائذى :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى ... إذا كان يومٌ ذو كواكب أشهبُ

أى إذا وقع . وقال الآخر ، عمرو بن شأس :

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا ... إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

إذا كانت الحوّ الطوال كأنما ... كساها السلاحُ الأرجوانَ المضلّعا

أضمر لعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم »(٧)

ونلاحظ أن الكلام متشابه فى الكتابين والشواهد هى هى والتعليق عليها واحد وهو فى كتاب الجمل أوضح منه فى كتاب سيبويه .

٤ — **جاء فى كتاب الجمل** تحت عنوان الرفع بالحمل على الموضع :

« كقول الشاعر :

ولما يجد إلا مناخ مطية ... تجافى بها زَوْر نبيل وكلكل

٦ — الجمل ١٢٣

٧ — كتاب سيبويه ١ . ٤٦ ، ٤٧ هارون .

وَمَفْحَصَهــا عنها الحصا بجرانها ومثنـــى نواج لم يخنهنّ مفصلُ
وسمٌر ظمـاء ، واترّتهـنُ بعدمـــا مضى هجعةٌ من آخـر الليـل ذُبَّـلُ

رفع سمرا ولم ينسقه على الاستثناء لأنه حمله على المعنى .

قال الشاعر :

بادت وغير آيهن على الـــبلى إلا رواكـــدُ جمرهـــن هبـــاء
وشجـــجُ أمـــا سواء قذالـــه فبـــدا وغير سارَهُ المَعْـــزَاء

فرفع وكان حده النصب على الاستثناء ... وقال الآخر :

نهدى الخميس نجادا فى مطالعهـا إمـا المصاعَ وإمـا ضربـةٌ رُغُب

حمل الضربة على المعنى فرفعها ولم يعطفها على المِصاع »[8]

وقال سيبويه : فى معرض حديثه عما يحمل على المعنى فى الإعراب :

« ومثله قول الشاعر :

يهدى الخميس نجادا فى مطالعهـا إمـا المِصاعَ وإمـا ضربةٌ رغُبُ

حمله على شيء لو كان عليه الأول لم ينقض المعنى . ومثله قول كعب بن زهير :

فلـم يجدا إلا منـاخ مطيـــة تجافى بها زورٌ نبيـــل وكلكـــلُ
ومفحصهـــا عنها الحصى بجرانها ومثنـــى نواجٍ لم يخنهن مفصِلُ
وسمرُ ظمـاء واترّتهُـــنّ بعدمـــا مضت هجعةٌ من آخـر الليـل ذبَّـلُ

كأنه قال ثم سُمْرٌ ظماء . وقال :

بادت وغير آيهنّ مع الـــبلى إلا رواكـــدَ جمرهـــن هبـــاء
ومشجـــج أمـــا سواء قذالـــه فبـــدا وغيَّـــر ساره المعـــزاء

لأن قوله « إلا رواكدَ » هى فى معنى الحديث : بها رواكد ، فحمله على شيء لو كان عليه الأول لم يَنْقُض الحديثَ »[9] .

ونلاحظ أن موضع الاستشهاد واحد وهو الرفع حملا على الموضع

---

٨ ــ الجمل : ١٤٤ ــ ١٤٨

٩ ــ كتاب سيبويه ١ : ١٧٢ ــ ١٧٤ .

والمعنى . والشواهد هى هى ، وقد نجد اختلافا فى الرواية ولكن مواطن الاختلاف لاتفسد الاستشهاد إلا فى قول الشاعر « إلا رواكد جمرهن هباء » . ففى كتاب الجمل برفع (رواكد) وجعلها موضع الشاهد . وفى كتاب سيبويه جاء الضبط بنصيب (رواكد) وجعل الشاهد فى رفع مشحج . وقال السيرافى : « الشاهد فى رفع (مشحج) وترك عطفه على رواكد كأنه قال : وثَمّ مشجج »[10] . والرواية عند أبى جعفر النحاس برفع (رواكد) وقال :

« لم يقل : رواكدَ فينصب على الاستثناء ولكن رفع كأنه قال بها رواكد »[11] .

وعلى هذا يتفق أبو جعفر النحاس فى روايته لبيت سيبويه وبيان الشاهد فيه مع ماجاء فى كتاب الجمل .

وأعتقد أن مثل هذا الخلاف لايقدح فى تأثر أحد المصنفين بالآخر .

٥ — جاء فى الجمل : « وقال الأخطل أيضا :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها ... على مستقلّ بالنوائب والحْربِ
أخاها إذا كانت عِضاضا سماها ... على كل حال من ذلول ومن صعب

نصب « أخاها » على المدح ، ولولا ذلك لخفضه على البدل من مستقلّ ، وإنما ينصب على المدح والذم والترحم والاختصاص على إضمار أعنى »[12] .

وقال سيبويه : « وزعم عيسى أنه سمع ذا الرمة ينشد هذا البيت نصبا :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها ... على مستقل للنوائب والحرب
أخاها إذا كانت عضاضا سماها ... على كل حال من ذلول ومن صعب

١٠ — شرح أبيات سيبويه للسيراف ١ : ٢٦٢

١١ — شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس ١٠٥

١٢ — الجمل ٦٢

زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولامن تخاطب بأمر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ماعلمت فجعله ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال : أذكر أهل ذاك وأذكر المقيمين ولكنه فعل لايستعمل إظهاره »[١٣] .

ونلاحظ أن المعنى متفق فى الكتابين ، ومانسبه سيبويه للخليل فى توجيه نصب أخاها هو ماورد فى كتاب الجمل المنسوب للخليل فالثناء والتعظيم هو المدح وبجانب ذلك نجد تطابقا كاملا بين معنى الفقرتين السابقتين لهذين النصين فى الكتابين ويمكن الرجوع إليهما .

٦ ـــ جاء فى الجمل : « فإذا قلت هو شر فى الدار فجعلته اسما جاز الرفع ...

ثم قال : قال الشاعر :

أما النهار ففى قيد وسلسلة والليل فى جوف منحوت من الساج

رفع الليل والنهار لأنه جعلهما اسما ولم يجعلهما ظرفا »[١٤]

قال سيبويه : « وقال الآخر :

أما النهار ففى قيد وسلسلة والليل فى قعر منحوت من الساج

كأنه جعل النهار فى قيد والليل فى بطن منحوت ، أو جعله الاسم أو بعضه »[١٥]

٨ ـــ **جاء فى الجمل** : « ولايفصل بين المضاف والمضاف إليه ...

وقد جاء فى الشعر منفصلا قال عمرو بن قميئة :

لما رأت ساتيدما استعبرت لله درُّ اليومَ من لامها

أى لله در من لومها ففصل . وقال الآخر :

كما خُطَّ الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو بعيد

أى بكف يهودى . قال الله تعالى : (زين لكثير من المشركين قتل

---

١٣ ـــ كتاب سيبويه ٢ : ٦٥

١٤ ـــ الجمل ٤٣ ، ٤٤

١٥ ـــ كتاب سيبويه ١ : ١٦١ هارون

أولادهم شركائهم)[١٦] .فرق بين المضاف والمضاف إليه قال ذو الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنــــا أواخـر المَيْس أصوات الفـراريج

أراد : كأن أصوات أواخر الميس ، وقال الآخر :

وقـد زعمـــوا أنى جزعت عليهما وهـل جزع أن قلت وَابِأبَــاهما

هما أخوا فى الحرب من لاأخاله إذا خاف يوما نبوةً فدعــاهما

يعنى أخوا من لاأخاله ففصل بين المضاف والمضاف إليه »[١٧] .

وقال سيبويه : « ومما جاء فى الشعر قد فصل بينه وبين المجرور قول عمرو ابن قميئة :

لما رأت ساتيــد ماماستــعبرت لله در اليـــوم من لامهـــا

وقال أبو حية النميرى :

كما خُطَّ الكتـاب بكـفِّ يومـا يهودى يقـــارب أو يزيـــل

وقال ذو الرمة :

كأن أصوات من إيغـالهن بنـــا أواخِرِ المَيْس أصوات الفـراريج

فهذا قبيح .... وقالت درنابنت عبعبة من قيس بن ثعلبة :

هما أخوا فى الحرب من لاأخاله إذا خاف يوما نبوةً فدعـاهما[١٨]

ونلاحظ أن مصنف كتاب الجمل يعلق على كل شاهد ، أما سيبويه فيسوق الأبيات دون تعليق عليها مكتفيا بعبارته الأولى . والشواهد هى هى وبنفس الترتيب . فهل سجل سيبويه ماوعى من كلام شيخه ؟

٨ — جاء فى الجمل : « فالنصب من المفعول . قولك أكرمت زيداً وأعطيت محمداً . وقد يضمرون فى الفعل الهاء فيرفعون المفعول به كقولك زيد ضربت وعمر شتمت على معنى ضربته وشتمته فيرفع زيد بالابتداء ويوقع الفعل على المضمر كما قال الشاعر :

---

١٦ — سورة الأنعام آ ١٣٧

١٧ — الجمل : ٧٨ ، ٧٩

١٨ — كتاب سيبويه ١ : ١٧٨ ، ١٧٩ هارون

وخالــدٌ يَحمــد أصحابــه   بالحق لايحمــد بالباطـــل

يعني يحمده أصحابه . وقال الآخر :

أبحت حمى تهامــة بعــد نجد   ومــاشيء حميت بمستبــاح

يعني حميته ، وقال آخر :

ثلاث كلهــن قتلــن عمــدا   فأخــزى الله رابعــة تعــود

يعني قتلتهن . وقال الآخر :

فيــوم علينــا ويــوم لنــا   ويــوم نُساء ويــوم نُسر

يعني نُساء فيه ، ونسرّ فيه »[19]

وقال سيبويه : « ولايحسن فى الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم ولايذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال فى الأول ومن حال بناء الاسم عليه ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه ، ولكنه قد يجوز فى الشعر وهو ضعيف فى الكلام ... وقال النمر بن تولب :

فيــوم علينــا ويــوم لنــا   ويــوم نُسَاء ويــوم نُسَرّ

وقال :

ثلاث كلهــن قتلــت عمــدا   فأخــزى الله رابعــة تعــود

فهذا ضعيف والوجه الأكثر الأعرف النصب ...

ومما جاء فى الشعر من ذلك قول جرير :

أبحت حمى تهامــة بعــد نجد   ومــاشيء حميت بمستبــاح »[20]

ونلاحظ أن الشواهد مشتركة ولكن عبارة سيبويه ملتوية وعبارة مصنف الجمل واضحة مختصرة كما أن سيبويه بين أن ذلك غير حسن فى الكلام وأنه فى الشعر ضعيف أيضا ، وفرق بين مايقع خبرا ، ومايقع صلة أو نعتا لأن الفعل عندما يكون خبرا يمكن أن يسلط على ماقبله فينصبه على

---

١٩ ـــ الجمل : ٣٦ ، ٣٧

٢٠ ـــ كتاب سيبويه ١ : ٨٥ ـــ ٨٧ هارون .

المفعولية أما فى الصلة والنعت فهو من تمام الاسم فلايمكن نصب الاسم بالفعل الذى بعده لأنه من تمامه .

٩ ــ جاء فى الجمل : « ماكان من النصب على الموضع لا على الاسم قولهم أزورك فى اليوم أو غدا ، ولستم بالكرامِ ولا السادةَ قال عقبة الأسدى :

معـــاوى إننـــا بشر فأسجـــح فلسنـــا بالجبـــالِ ولا الحديـــــدا

نصب الحديد على موضع الجبال لأن موضعها النصب ...

وقال كعب بن جعيل :

ألا حىَّ ندمانى عميرَ بن عامـر إذا ماتلاقينـا من اليـــوم أو غدا

نصب (غدا) على الموضع لا على الاسم .

وقال لبيد :

فإن لم تجد من دون عدنـان والـداً ودون معـدٍّ فلتـزعك العـــواذِلُ

نصب دون على الموضع لا على الاسم »[٢١]

وقال سيبويه : « هـذا باب مايجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله .

وذلك قولك : ليس زيد بجبان ولا بخيلا ، ومازيد بأخيك ولاصاحبَك ... ومما جاء من الشعر على الإجراء على الموضع قول عقبة الأسدى :

معـــاوى إننـــا بشر فأسجـــح فلسنـــا بالجبـــال ولا الحديـــــدا

لأن الباء دخلت على شىء لو لم تدخل عليه لم يخل بالمعنى ولم يحتج إليها كان نصبا ومن ذلك قول لبيد :

فإن لم تجد من دون عدنـان والـداً ودون معـدٍ فلتـزعك العـــواذل

والجر الوجه . ومثل (ودون معد) قول الشاعر وهو كعب بن جعيل :

ألا حىَّ ندمانى عميرَ بن عامـر إذا ماتلاقينـا من اليوم أو غدا »[٢٢]

فالأبيات الثلاثة مشتركة ومتتابعة فى الكتابين كما رأينا .

---

٢١ ــ الجمل ٧٣ . ٧٤

٢٢ ــ كتاب سيبويه ١ : ٦٦ ــ ٦٨

١٠ ــ جاء فى الجمل : « والنصب بالقسم عند سقوط الواو والباء والتاء من أول القسم . تقول : الله لأفعل ذاك ، ويمينَ الله لا أزورك نصبت لأنك نزعت حرف الجر كما تقول بحق لأزورك فإذا نزعت الباء قلت حقا لأزورك ، قال الشاعر :

ألاربَّ من قلبـــى له الله ناصحُ ومن قلبـه لى فى الظبـاء السوانح

.... وقال آخر :

إذا ماالخبـــز تأدمــــه بزيت فذاك أمانـــــةَ الله الثريـــد

أراد وأمانة الله فلما نزع منه الواو نصب . قال امرؤ القيس :

فقـــلت يمين الله ماأنـــا بارح ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وبعضهم يضمرون حرف القسم ويجرون به فيقولون : الله لأزورك كما يضمرون رب ويجرون به »[٢٣]

وقال سيبويه : « واعلم أنك إذا حذفت من المحلوف به جرف الجر نصبته كما تنصب حقا إذا قلت إنك ذاهب حقا ... وقال ذو الرمة :

ألا ربَّ من قلبى له الله ناصحٌ ومن قلبـه لى فى الظبـاء السوانح

وقال الآخر :

إذا ماالخبـــز تأدمـــه بلحـــم فذاك أمانـــــة الله الثريـــــدُ

.... وسمعنا فصحاء العرب يقولون فى بيت امرىء القيس :

فقـلت يمين الله أبـرح قاعـــدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى[٢٤]

ونلاحظ أن المصنفين التقيا فى فكرة حذف حرف القسم ونصب مابعده ، والتنظير بكلمة « حقا » و « بحق » ، والاتفاق فى الشواهد مع اختلاف الرواية فى البيت الثالث .

١١ ــ جاء فى الجمل تحت عنوان « والجزم بالمجازاة »[٢٥] عدة شواهد سنعرضها مع مقابلتها بكتاب سيبويه فيما يلى :

---

٢٣ ــ الجمل : ١٠٧ ، ١٠٨

٢٤ ــ كتاب سيبويه ٣ : ٤٩٧

٢٥ ــ الجمل : ١٩٤

أ ـــ جاء فى الجمل : « قال الشاعر :

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومجازه : متى تأتنا ومتى تلمم بنا على البدل ، والإلمام هو الإتيان » (٢٦)

وقال سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله :

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

قال : تلمم بدل من الفعل الأول ونظيره فى الأسماء : مررت برجل عبد الله فأراد أن يفسر الإتيان بالإلمام » (٢٧)

فالاتفاق فى المضمون والشاهد واصطلاح البدل متحقق فى الكتابين .

ب ـــ جاء فى الجمل : « وقال الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير مُوقِدِ (٢٩)

رفع تعشو لأنه أراد متى تأته عاشيا إلى ضوء ناره فصرفه من منصوب إلى مرفوع » (٢٨) .

وقال سيبويه : « هذا باب مايرتفع بين جزمين وينجزم بينهما ، فأما مايرتفع بينهما فقولك : إن تأتنى تسألنى أعطك ... ومما جاء أيضا مرتفعا قول الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير مُوقِدِ (٢٩)

ج ـــ جاء فى الجمل : وتقول إن تأتنى آتيك ترفع لأنك تقدم وتؤخر تريد آتيك إن تأتنى قال الشاعر :

ياأقرع بن حابس ياأقرع إنك إن يصرعْ أخوك تصرعُ

يريد إنك تصرع إن يصرعْ أخوك . فقدم وأخر » .

وقال سيبويه : « ولايحسُنُ إن تأتنى آتيك من قبل أن « إنْ » وقد جاء فى الشعر :

---

٢٦ ـــ الجمل : ١٩٤

٢٧ ـــ كتاب سيبويه ٣ : ٨٦ ، وقد سبق ذكر البيت فى الفصل الثانى انظر ص ٤٦

٢٨ ـــ الجمل : ٩٨

٢٩ ـــ كتاب سيبويه ٣ : ٨٥ ، ٨٦

بأقــرع بن حابس يأقــرع   إنك إن يصرعْ أخــوك تصرعُ
أى إنك تصرعُ إن يصرعْ أخوك »[30]

نلاحظ الاتفاق فى توجيه الرفع فى مثل هذا التركيب إلا أن سيبويه قال : « لايحسن » « وقد جاء فى الشعر » ... أما مصنف الجمل فأجازه مطلقا أى أن أداة الشرط + مضارع مجزوم + مضارع مرفوع + يكون مقبولا عند مصنف الجمل شعرا ونثرا أما عند سيبويه فلايحسن فى النثر وقد يرد فى الشعر .

د ــ **جاء فى الجمل** : « وتقول : من يأتنى آتيه : المعنى : الذى يأتينى آتيه . فلا يجازى به . قال الفرزدق :

ومن يَميلُ أمال السيف ذُرْوَتَه   حيث التقى من حِفَافَىْ رأسه الشَّعَرُ
أى الذى يميلُ . وقال آخر :
فقيل تحمــل فوق طوقك إنها   مطبعــةٌ من يأتها لايضيرهــا
معناه لايضيرها من يأتها »[31]

وقال سيبويه : « هذا باب الأسماء التى يجازى بها وتكون بمنزلة الذى . وتلك الأسماء مَنْ ، وما ، وأيهم ، فإذا جعلتها بمنزلة الذى قلت : ماتقولُ أقولُ ، فيصير تقول صلة لما حتى تكمل اسما . فكأنك قلت الذى تقول أقول ... وقال الفرزدق :

ومن يميلُ أمال السيف ذروته   حيث التقى من حفافى رأسه الشَّعَرُ
..... وقد يجوز فى الشعر آتى من يأتنى . وقال الهذلى :
فقلت تحمــل فوق طوقك إنها   مطبعــة من يأتها لايضيرهــا
هكذا أنشدناه يونس كأنه قال : لايضيرها من يأتها »[32]

ونلاحظ أن الشاهد فى البيت الثانى عند مصنف الجمل لايناسب الشاهد فى البيت الأول فقد جاءت « من » فى البيت الأول بمعنى الذى

30 ــ كتاب سيبويه ٣ : ٦٧ هارون
31 ــ الجمل : ١٩٨ ، ١٩٩
32 ــ كتاب سيبويه ٣ : ٦٩ ، ٧٠

والأفعال بعدها مرفوعة ، أما البيت الثانى فليس كذلك . ولكن سيبويه وضح الفرق بينهما فى وجه الاستشهاد . وإن كان التعليق عليه مشتركا .

هـ ــ **جاء فى الجمل** : « قال الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها   والسيىء بالسيىء عند الله مثلان

فأضمر الفاء بمعنى فالله يشكرها »[٣٣]

وقال سيبويه : « وسألته عن قوله : إن تأتنى أنا كريم . فقال لايكون هذا إلا أن يضطر شاعر من قبل أن أنا كريم يكون كلاما مبتدأ ، والفاء وإذا لايكونان إلا معلقتين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جوابا حيث لم يشبه الفاء . وقد قاله الشاعر مضطرا ، يشبهه بما يتكلم به من الفعل ، قال حسان بن ثابت :

ومن يفعل الحسنات الله يشكرها   والشر بالشر عند الله مثلان[٣٤]

ونلاحظ الاتفاق فى المعنى مع اختلاف فى رواية البيت فى غير موضع الشاهد ومصنف الجمل لايذكر أن ذلك ضرورة .

و ــ **جاء فى الجمل** : « وتقول : إن أتاه صاحبه يقول له . رفع « يقول » على معنى قال من ماض إلى مستقبل ، فرفع ، قال زهير بن أبى سلمى :

وإن أتاه خليل يوم مسألة   يقول لاغائب مالى ولاحَرِم

معناه : قال فصرف من منصوب إلى مرفوع »[٣٥]

قال سيبويه : « وتقول : إن أتيتنى آتيك أى آتيك إن أتيتنى قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة   يقول لاغائب مالى ولاحَرِم[٣٦]

نلاحظ أن تفسير مصنف كتاب الجمل يختلف عن تفسير سيبويه

---

٣٣ ــ الجمل : ٢٠١

٣٤ ــ كتاب سيبويه ٣ : ٦٤ ، ٦٥

٣٥ ــ الجمل : ٢٠٢

٣٦ ــ كتاب سيبويه ٣ : ٦٦

فالأول رأى أن الفعل المضارع هنا بمعنى الماضى فلما عدل عن الماضى إلى المضارع رفع المضارع ، أما سيبويه فقد فسره على التقديم والتأخير أى قدر تقديم المضارع على أداة الشرط . وقد فسره المبرد على إرادة الفاء[٣٧]

١٢ ـــ جاء فى الجمل : « قال الشاعر :

أصبحت لاأحمل السلاح ولا أملك رأسى البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا

نصب الذئب على أن أضمر « أخشى » الذئب ليكون الفعل عاملا كما كان أولا »[٣٨]

وقال سيبويه : هذا باب مايختار فيه إعمال الفعل مما يكون فى المبتدأ مبنيا عليه الفعل . وذلك قولك : رأيت زيدا وعمرا كلمته ، ورأيت عبد الله وزيدا مررت به ... ... ومثل ذلك قوله عز وجل : (يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما)[٣٩] وقوله عز وجل : (وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال)[٤٠] ومثله : (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)[٤١] وهذا فى القرآن كثير .... وقال الشاعر وهو الربيع بن ضبع الفزارى :

أصبحت لاأحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إذ نفرا
والذئبَ أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا[٤٢]

ونلاحظ فى الكتابين مايلى :

١ ـــ عرض صاحب الجمل هذين البيتين تحت عنوان « النصب بالمشاركة »[٤٣] وهو يعنى بالمشاركة أن يكون كل من الفاعل والمفعول به يحدث الفعل فى

٣٧ ـــ انظر المقتضب للمبرد ٢ : ٧٠
٣٨ ـــ الجمل : ١٠٧
٣٩ ـــ سورة الدهر آ : ٣١
٤٠ ـــ سورة الفرقان آ : ٣٩ ، ٤٠
٤١ ـــ سورة الأعراف آ : ٣٠
٤٢ ـــ كتاب سيبويه ١ : ٨٨ ـــ ٩٠ هارون
٤٣ ـــ الجمل : ١٠٥

الآخر وساق لذلك قول الشاعر :

قد سالم الحيّاتُ منه القدما   الأفعوانُ والشجاع والشجعما

ثم قال : ومنه وليس يعينه قولك : ضربت زيدا وعمراً أكرمت أخاه .

وساق الآيات التى أوردها سيبويه فى النص الذى سقناه له .

٢ ـــ اتفق المصنفان فى الاستشهاد بالآيات الثلاث مع اختلافهما فى ترتيبها وقال صاحب الجمل تعليقا على الآيات[٤٤] : « نصب فريقا الثانى على المشاركة » ، و« نصب كلا بالمشاركة » ... و « نصب الظالمين على هذا » .

٣ ـــ الاتفاق فى بعض الأمثلة على النحو الآتى :

الجمل : كنت أخاك وزيدا أعنتك عليه .

الكتاب : لست أخاك وزيدا أعنتك عليه .

الجمل : وكنت بمنزلة ضربت وسائر الفعل .

الكتاب : لأن كنت أخاك بمنزلة ضربت أخاك .

١٣ ـــ جاء فى الجمل : « والهاء التى تقع على المذكر والمؤنث . كقول الشاعر :

* فطافت ثلاثا ، بين يوم وليلة *

قال ثلاثا ولم يقل ثلاثة ، وقد ذكر الأيام ، وإنما قال ثلاثا على الليالى ، لأن الأيام داخلة فى الليالى لكثرة استعمالهم الليالى ، ألا ترى أنهم يكتبون فى كتبهم بقين ، ومضين ، وصمنا عشرا من الشهر يعنى الليالى .

وأما قول الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن   وأنت برىء من قبائلها العشر

البطن مذكر ، وإنما عنى القبائل . وأمّا قول الآخر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود   لقد جار الزمان على عيالى

قال ثلاثة أنفس لأنه أراد : ثلاثة أشخص ، وشخص الرجل نفسه .

٤٤ ـــ الجمل : ١٠٦

قال الشاعر :

فكان مجنّى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

قال ثلاث شخوص فأنث ، والشخص مذكر »[٤٥]

وقال سيبويه : « هذا باب المذكر الذى يقع على المذكر والمؤنث وأصله التأنيث ... وتقول سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ، لأنك ألقيت الاسم على الليالى ثم بينت فقلت : من بين يوم وليلة . ألا ترى أنك تقول : لخمس بقين أو خلون ، ويعلم المخاطب أن الأيام قد دخلت فى الليالى ...

وقال الشاعر وهو النابغة الجعدى :

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة يكون النكير أن تضيف وتجأرا

..... وزعم يونس عن رؤبة أنه قال : ثلاث أنفس ، على تأنيث النفس كما قال ثلاث أعين للعين من الناس ، وكما قالوا ثلاث أشخص فى النساء . وقال الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشرِ

وقال القتال الكلابى :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ولَلسَّبْعُ خير من ثلاث وأكثر

فأنَّثَ أبطنا إذ كان معناها القبائل . وقال الحطيئة :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالى

وقال عمر بن أبى ربيعة :

فكان نصيرى دون من كنت أتقى ثلاثُ شخوص كاعبان ومعصر

فأنَّث الشخص إذ كان فى معنى أنثى »[٤٦]

نلاحظ أن وجه الشبه قوى بين العنوانين ، وعبارة « ألا ترى » وقول مصنف كتاب الجمل : « ألا ترى أنهم يكتبون فى كتبهم » فيعتمد على مايكتبه المصنفون أو كتاب الرسائل . أما سيبويه فيعتمد على المألوف

---

٤٥ — الجمل : ٢٧٠ ، ٢٧١

٤٦ — كتاب سيبويه ٣ : ٥٦١ — ٥٦٦

من الاستعمال فيقول : « ألا ترى أنك تقول » .

كما نلاحظ أن الشواهد الشعرية هى هى وسيقت بنفس الترتيب فى الكتابين وزاد سيبويه شاهدا .

والموازنة بين هذين النصين تثبت صلة ما بين الكتابين ، وكأن مافى كتاب الجمل كان من بين ماتلقاه سيبويه من شيخه الخليل بن أحمد . أو كأن أحدا انتزع من كتاب سيبويه مايريد .

١٤ — جاء فى الجمل : « والنصب بالبدل ... ومنه تقول : رأيت زيدا أخاه قائما نصبت زيدا بـ « رأيت » ، ونصبت أخاه بالبدل ، ولو رفعته على الابتداء كان جائزا . ومثله قول الشاعر وهو ذو الرمة :

ترى خلقها نصفا قناةً قويمة ونصفا نقاً يرتجّ أو يتمرمرُ

نصب نصفاً على البدل »[47] .

وقال سيبويه : « وقال الآخر وهو ذو الرمة :

ترى خَلْقها نصف قناة قويمة ونصف نقا يرتجّ أو يتمرمرُ

وبعضهم ينصبه على البدل »[48] .

نلاحظ أن مصنف كتاب الجمل استشهد برواية النصب على البدل أما سيبويه فقد استشهد براوية الرفع على القطع والابتداء . وأجاز النصب على البدل . فمن كان يعنيه سيبويه بقوله : وبعضهم ينصبه على البدل ؟ أكان يعنى الخليل بن أحمد ؟ أم كان يعنى الرواة ، ثم وجه رواية النصب ؟

١٥ — جاء فى الجمل : « وربما جعلوا النكرة اسما والمعرفة خبرا فيقولون : كان رجل عمراً إلا أن النكرة أشد تمكنا من المعرفة لأن أصل الأشياء نكرة ، ويدخل عليها التعريف . والوجه أن تُجعل المعرفة اسما والنكرة خبرا قال القطامى :

قفى قبل التفرق ياضُباعا ولايك موقف منك الوداعا

---

٤٧ — الجمل : ١٠٠ ، ١٠١

٤٨ — كتاب سيبويه ٢ : ١١

وقال آخر :

فإنك لاتبالى بعد حول أظبى كان أمّكَ أم حمار

وقال آخر :

ألا من مبلغ حسان عنى أطبّ كان ذلك أم جنون ؟

وقال آخر :

كأن سلافة من بيت رأس يكون مزاجَها عسلٌ وماء

وقال الفرزدق :

أسكران كان ابنَ المراغة إذ هجا تميما بجوف الشام أم مُتَساكرُ

جعل المعرفة خبرا والنكرة اسما »[49]

وقال سيبويه : « واعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة فالذى تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام لأنهما شىء واحد ... وقد يجوز فى الشعر وفى ضعف من الكلام ... »[50] ثم ذكر الأبيات الأربعة الأخيرة الواردة فى النص السابق من كتاب الجمل .

وأعتقد أن سوق الأبيات بنفس الترتيب يشعر بأن الصلة المباشرة بين الكتابين قائمة الحفظ أو النقل .

١٦ ــ **جاء فى الجمل** : « وأما قول الآخر :

تذكرت أرضا بها أهلُها أخوالَها فيها وأعمامَها

أى تذكرت أخوالها وأعمامها . وقال الآخر :

إذ تغنى الحمام الورق هيجنى ولو تعزيت عنها أمّ عمار

نصب أم عمار على معنى هيجنى فذكرت أم عمار .

وتقول : هذا ضارب زيد وعمراً . نصبت على ضمير فعل كأنك قلت : وضرب عمراً ، ومثله قول الشاعر :

جئنى بمثل بنى بدر وإخوتهم أو مثل أسرة منظور بن سيّار

كأنه قال : أو هاتِ مثل أسرة منظور »[51]

٤٩ ــ الجمل : ١٢٠ ــ ١٢٢

٥٠ ــ كتاب سيبويه : ١ : ٤٧ ، ٤٨ هارون

٥١ ــ الجمل : ١٠٤

وقال سيبويه : « ومثل ذلك قول ابن قميئة

تذكـرتْ أرضا بها أهلُهـا ... أخوالَهـا فيها وأعمامَهـا

لأن الأهل والأعمام قد دخلوا فى التذكر .

ومثل ذلك فيما زعم الخليل :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ... ولو تعزيت عنها أمَّ عمار

قال الخليل رحمه الله : لما هيجنى عرف أنه قد كان ثَمَّ تذكر لتذكره الحمام وتهيجه ، فألقى ذلك الذى قد عرف منه على أم عمار ، كأنه قال هيجنى فذكرنى أم عمار »[٥٢]

وقال سيبويه فى موضع آخر : « وتقول فى هذا الباب : هذا ضارب زيد وعمرو ، إذا أشركت بين الآخر والأول فى الجار ... وإن شئت نصبت على المعنى وتضمر له ناصبا فتقول : هذا ضارب زيد وعمراً ، كأنه قال : ويضرب عمراً أو وضارب عمراً ، ومما جاء على المعنى قول جرير :

جئنِى بمثل بنى بدر لقومهم ... أو مثل أسرة منظور بن سيار

....

فحمله على المعنى كأنه قال ... وقال هات مثل أسرة منظور بن سيار »[٥٣]

ونلاحظ مايلى :

١ ــ الفكرة العامة فى حذف عامل النصب وهو هاهنا فعل .

٢ ــ الاتفاق فى الشواهد الشعرية مع كثرتها وزيادتها عند سيبويه ولم نذكرها هنا اختصارا .

٣ ــ مطابقة مانسبه سيبويه للخليل لما جاء فى كتاب الجمل

٤ ــ الاتفاق فى التعليق على الشواهد مثل :

أ ــ فى **الجمل** : « أى تذكرت أخوالها وأعمامها » .

---

٥٢ ــ كتاب سيبويه ١ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ هارون

٥٣ ــ كتاب سيبويه ١ . ١٦٩ ، ١٧٠ هارون

فى الكتاب : « لأن الأهل والأعمام قد دخلوا فى التذكر » .

ب ــ **فى الجمل** : « نصبت أم عمار على معنى هيجنى فذكرت أم عمار »

فى الكتاب : « كأنه قال هيجنى فذكرنى أم عمار » .

ج ــ **فى الجمل** : « وتقول هذا ضارب زيد وعمرا ، نصبت على ضمير كأنك قلت وضرب عمرا » .

فى الكتاب : « هذا ضارب زيد وعمرا كأنه قال : ويضرب عمراً » .

د ــ **فى الجمل** : « كأنه قال : هات مثل أسرة منظور » .

فى الكتاب : « وكأنه قال ... وقال : هات مثل أسرة منظور بن سيار » .

١٧ ــ جاء فى الجمل : « النصب من نداء النكرة الموصوفة . قولهم : يارجلا فى الدار وياغلاما ظريفا نصبت لأنك ناديت من لم تعرفه .... وقال الشاعر :

فياراكبا إمـــا عرضت فبلغـــنْ ندامای من نجران أن لاتلاقيا

وقال آخر :

أدارا بحزوى هجت للـــعين عبرة فمـــاء الهوى يرفضُّ أويترقـــرق

وأما قول الآخر :

سلامُ الله يامطــــــــــرٌ عليها وليس عليك يامطـــرُ السلام

فإنه نون مطرا اضطرارا ويروى بالنصب منونا »[٥٤]

وقال سيبويه : « وقال الخليل رحمه الله : إذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة .... وقال ذو الرمة :

أدارا بحزوى هجت للـــعين عبرة فمـــاء الهوى يرفضّ أويترقـــرق

وقال عبد يغوث :

فياراكبا إمـــا عرضت فبلغـــن ندامـاى من نجران أن لاتلاقيـا

وأما قول الأحوص :

٥٤ ــ الجمل : ٥٢

سلام الله يامطـــــــــرٌ عليها   وليس عليك يامطـــر السلام

فإنما لحقه التنوين كما لحق مالاينصرف ... . هذا بمنزلة مرفوع لا ينصرف يلحقه التنوين اضطرارا ... وكان عيسى بن عمر يقول « يامطراً »(٥٥)

والصلة بين النصين قوية واضحة .

هكذا نجد الوشائج قوية بين الكتابين وفى النماذج التى عرضناها برز الاتفاق فى وجه الاستشهاد ، والتعليق ، والتوجيه وبعض العبارات ، والأمثلة المحيطة بالشاهد مما يجعلنا نطمئن إلى ماخرجنا به من الفصول السابقة ، فإن روح ونص كتاب الجمل المنسوب للخليل كانا مختزنين فى ذاكرة سيبويه اختزان التلميذ لعلم شيخه ، ولو أضفنا إلى الصلة بين الشواهد ماسبق ذكره فى الفصل الثانى من آراء الخليل المنسوبة إليه فى كتاب سيبويه وصداها فى كتاب الجمل لازدادت الرؤية وضوحا .

---

٥٥ ـــ كتاب سيبويه ٢ : ١٩٩ ـــ ٢٠٢

الأمثلة والعبارات :

بتأملنا عبارات المصنف والأمثلة التى يسوقها فى ضوء عبارات سيبويه وأمثلته وجدنا الصلة قوية لاتقل عن الصلة التى لمسناها فى الفصول السابقة فمن الأمثلة المشتركة بين الكتابين مايلى :

١ — أتميميا مرة وقيسيا أخرى ؟	فى الجمل : ٨٨، والكتاب ١ : ٣٤٣
٢ — إذالم تكنهم فمن ذا يكونهم	فى الجمل : ١٢٠ ، والكتاب ١ : ٤٦
٣ — الأسدَ الأسدَ	فى الجمل : ٥٥ ، والكتاب ١ : ٢٥٣
٤ — أما صديقا مصافيا فليس بصديق	فى الجمل : ٣٧ ، والكتاب ١ : ٣٨٧
٥ — أنت سيرا سيرا	فى الجمل : ١١٦ وفى الكتاب « زيد سيرا سيرا » ١٠ : ٣٣٥
٦ — إنها لإبل أم شاء	فى الجمل : ٣٢٠ ، الكتاب ٣ : ١٧٢
٧ — بك زيدا مأخوذ	فى الجمل : ١٣٩ ، الكتاب « إن بك زيدا مأخوذ » ٢ : ١٣٢
٨ — جحيش وحده	الجمل : ١١٥ ، الكتاب ١ : ٣٧٧
٩ — رأسك والحائط	الجمل : ٥٥ ، الكتاب ١ : ٣٧٤
١٠ — سبوحا قدوسا	الجمل : ١٠٩ ، الكتاب ١ : ٣٢٧
١١ — غفرانك لاكفرانك	الجمل : ٦٠ ، الكتاب ١ : ٣٢٥
١٢ — كرما وصلفا	الجمل : ١٠٩ ، الكتاب ١ : ٣٢٨
١٣ — «كنت أخاك وزيدا أعنتك عليه»	الجمل : ١٦ وفى كتاب سيبويه « لست أخاك وزيدا أعنتك عليه » ١ : ٨٩
١٤ — ماأنت إلا شربَ الإبل وإلا ضربَ الناس	الجمل : ١١٦ ، والكتاب ١ : ٣٣٦
١٥ — مررت به وحده	الجمل : ١١٤ ، والكتاب ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧

١٦ ـــ ماز رأسك والسيف	الجمل : ١٧١ والكتاب ١ : ٢٧٥
١٧ ـــ ماكل سوداء تمرة ولا كل بيضاء شحمة	الجمل : ٣٠٥ ، والكتاب ١ : ٦٥
١٨ ـــ مالى إلا أباك صديق	الجمل : ٢٩٨ والكتاب ٢ : ٣٣٥
١٩ ـــ هذا تمراً أطيب منه بسراً	الجمل : ١١٣ والكتاب ١ : ٤٠٠
٢٠ ـــ هذا حجر ضب خرب	الجمل : ١٧٥ . والكتاب ١ : ٦٧
٢١ ـــ هذا رجل معه صقر صائداً به	الجمل : ١٧١ . والكتاب ٢ : ٤٩
٢٢ ـــ هذا واقفا رجل	الجمل : ٧٥ والكتاب « هذا قائما رجل » ٢ : ١٢٣
٢٣ ـــ هو منى فرسخان	الجمل : ٤٤ . والكتاب ١ : ٤١٣ ، ٤١٦
٢٤ ـــ هو منى مزجر الكلب	الجمل : ٤٤ والكتاب ١ : ٤١٣ ، ٤١٦
٢٥ ـــ هو نسيج وحده	الجمل : ١١٥ . والكتاب : ١ : ٣٧٧

ومما هو جدير بالذكر أن المصنف ذكر مثالا يرد كثيرا فى كتب النحو وهو : « أكلت السمكة حتى رأسها »[1] وهذا المثال ليس من أمثلة سيبويه . وقد تابعت ورود هذا المثال فى كتب النحو فرجعت به إلى المقتضب للمبرد[2] ولم أجد أحداً ذكره قبله فيما بين يدى من مراجع ، وهذا لايعنى أن المبرد هو أول من مثل به ، فقد يكون أقدم من ذلك ، بل قد يكون قبل سيبويه فعدم وجوده فى كتاب سيبويه لايعنى أنه لم يستعمل إلا بعده فكم من أمثلة ذكرت فى حلقات الدرس لم تحملها المصنفات التى وصلت إلينا . فورود هذا المثال فى كتاب منسوب للخليل لايقدح فى نسبة الكتاب إليه .

حقا هذه الأمثلة التى سقناها نجدها شائعة فى كتب النحو ، أما الاتفاق فى العبارات التى تكون من أساليب المصنفين فإنه فى نظرنا مقنع بالصلة القوية بين المصنِّفَيْنِ ونسوق من ذلك على سبيل المثال لا الحصر النماذج الآتية :

١ ــ **جاء فى الجمل** : « إنما صار الحال نصبا لأن الفعل يقع فيه تقول : قدمت راكبا ، وانطلقت ماشيا ، وتكلمت قائما ، وليس بمفعول فى مثل قولك لبست الثوب ، لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل »[3] .

وقال سيبويه : « هذا باب مايعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل ، وليس بمفعول كالثوب فى قولك كسوت الثوب وفى قولك كسوت زيدا الثوب لأن الثوب ليس بحال وقع فيها الفعل »[4] .

ولنتأمل الاتفاق فى : « الحال نصب لأن الفعل يقع فيه وليس بمفعول» « لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل » بجانب التفرقة بين الحال والمفعول به .

٢ ــ **جاء فى الجمل** : « وتقول عمرَ الله وعمرَك الله ... ... ومثله قِعْدَك الله على معنى نشدتك الله ، ولافعل لقعدك ، وأما عمرَك الله فعلى معنى عمَّرتك الله »[5] .

١ ــ الجمل : ١٨٤
٢ ــ المقتضب ٢ : ٣٨
٣ ــ الجمل : ٤١
٤ ــ كتاب سيبويه ١ : ٤٤
٥ ــ الجمل : ١٠٨

وقال سيبويه : « وكأنه حيث قال : عمرَك الله وقِعدَك الله قال : عَمرَّتك الله بمنزلة نشدتك الله فصار عمرَك الله منصوبة بعمّرك الله ... فقعدك الله يجرى هذا المجرى وإن لم يكن له فعل وكأن قوله عمرك الله وقعدك الله بمنزلة نشدتك الله وإن لم يتكلم بنشدك الله . ولكن زعم الخليل أن هذا تمثيل يمثل به »[٦] .

واتفاق الفقرتين واضح فى « فعلى معنى عمَّرتك الله » و « كأنه حيث قال عمرك الله ... قال : عمرك الله » وكذلك فى : « ولافعل لقعدك » و « فقعدك الله يجرى هذا المجرى وإن لم يكن فعل » وأن « على معنى نشدتك الله » و « فعلى معنى عمَّرتك الله » يؤديان معنى قول سيبويه « بمنزلة نشدك الله وإن لم يتكلم بنشدك الله ولكن زعم الخليل رحمه الله أن هذا تمثيل يمثل به » .

٣ ــ جاء فى الجمل : وسبحان الله بدل من التسبيح ، وريحانه : استرزاقه ، ومَعَاذَ الله على معنى عياذا بالله »[٧]

وقال سيبويه : « وذلك قولك : سبحان الله ، ومَعاذَ الله وريحانه .... كأنه حيث قال سبحان الله قال تسبيحا ، وحيث قال ريحانه قال : استرزاقا .... وكأنه حيث قال : معاذ الله قال : عياذا بالله »[٨] .

٤ ــ **جاء فى الجمل** : « فأما سبوحا قدوسا فنصبه على معنى ذكرت سبوحا قدوسا »[٩]

وقال سيبويه : وأما سبوحا قدوسا رب الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان الله ، لأن السبوح والقدوس اسم ولكنه على قولك : اذكر سبوحا قدوسا »[١٠] .

---

٦ ــ كتاب سيبويه ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣

٧ ــ الجمل : ١٠٩

٨ ــ كتاب سيبويه ١ : ٣٢٢

٩ ــ الجمل : ١٠٩

١٠ ــ كتاب سيبويه ١ : ٣٢٧

٥ — جاء فى الجمل : « وأما ماينتصب من المصادر فى معنى التعجب قولهم كرما وصلفا ، وكرما لك وطول عمرٍ وأنف . أى أكرمك الله ، وأطول بعمرك وأنفك »(١١) .

وقال سيبويه : « ومما ينتصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك إظهاره ولكن فى معنى التعجب . قولك : كرما وصلفا . كأنه قال : ألزمك الله وأدام لك كرمك وألزمت صلفا ولكنهم خزلوا الفعل ... . لأنه صار بدلا من قولك أكرم به وأصلفه به ... وسمعت أعرابيا وهو أبو مرهب يقول : كرماً وطولَ أنف . أى أكرم بك وأطول بأنفك »(١٢) .

وأرى أن الاتفاق قائم فى بداية كل من النصين ، والأمثلة والمعالجة كذلك . وأكاد أقول إن كلام سيبويه يمثل شرحا لما جاء فى الجمل ، أو أقول إن ماجاء فى كتاب الجمل يمثل اختصارا لكلام سيبويه .

٦ — جاء فى الجمل : « وتقول : هذا تمرا أطيب منه بُسراً ، أى إذا كان تمرا أطيب منه إذا كان بُسْراً »(١٣) .

وقال سيبويه : وذلك قولك هذا بسراً أطيب منه رطبا فإن شئت جعلته حينا قد مضى ، وإن شئت جعلته حينا مستقبلا . وإنما قال الناس هذا منصوب على إضمار إذا كان فيما يستقبل وإذا كان فيما مضى لأن هذا لما كان ذا معناه أشبه عندهم أن ينتصب على إذا كان »(١٤) .

فمع مافى المثال من تغيير يسير فإن الإضمار الوارد فى كتاب الجمل هو مانسبه سيبويه إلى غيره بقوله : « إنما قال الناس » وربما كان يعنى بذلك الخليل ، أو أنه لم يكن على يقين من نسبه ذلك للخليل فجعل النسبة عامة .

---

١٢ — كتاب سيبويه ١ : ٣٢٨ هارون

١٣ — الجمل : ١١٣

١٤ — كتاب سيبويه ١ : ٤٠٠ هارون

٧ ــ جاء فى الجمل : « وأما قولهم : الحرب أول ماتكون فُتيةً »، أى الحرب أول أحوالها إذا كانت فُتيَّةً »[١٥] .

وقال سيبويه : « وبعضهم يقول : الحرب أول ماتكون فتيةً ، كأنه قال : الحرب أول أحوالها إذا كانت فُتيَّةً » .

فمما لاشك فيه أن الاتفاق فى الأمثلة ذات العبارات المسكوكة ، والتعليق عليها ، والأمثلة التوضيحية التى هى من صنع المصنف ، والصياغة المشتركة ، يشهد بالصلة التى لانزاع فيها بين كتاب الجمل وكتاب سيبويه ، ويؤكد أن سيبويه الذى احتفظ بجل آراء شيخه الخليل بن أحمد فى كتابه الذى وصف بأنه قرآن النحو قد استوعب مضمون كتاب الجمل المنسوب للخليل وحفظ عن شيخه الكثير من الأمثلة التى كان يلقنها لتلاميذه ، وبرز ذلك فى أوجه الشبه القوية التى جلونا طائفة منها أثناء عرضنا للنصوص الواردة فى الكتابين .

---

١٥ ــ الجمل : ١٢٥

١٦ ــ كتاب سيبويه ١ : ٤٠٢ هارون

الحصاد

لقد تنازع هذا الكتاب رجلان أولهما « الخليل بن أحمد » (ت ١٧٥) ، وثانيهما « ابن شقير » (ت ٣١٥ هـ) ، والذى أعلن هذا التنازع وحكم فيه بدون إبداء أسباب هو « ابن مسعر » (ت ٤٤٢ هـ) ، فأعلن أن كتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد إنما هو لابن شقير . ومن المسلم به أن عصر الخليل يمثل مرحلة من التصنيف النحوى لها طابعها ومذاقها المختلف عن طابع ومذاق عصر ابن شقير .

وبعد استنطاق الكتاب بهذا اللون من الدرس نأمل أن نكون قد انتهينا معا إلى الاطمئنان إلى القول بنسبة الكتاب للخليل بن أحمد لما فيه من رائحة الخليل ونسمات عصره وقد أبرزنا من القرائن مايشفع لذلك وتتلخص فيما يلى :

١ ـــ النمط الذى جاء عليه الكتاب يعد من أنماط المراحل الأولى السابقة على كتاب سيبويه فقد كان الخليل بارعا فى تصنيف الظواهر بدقة حس وعبقرية فذة يشهد له بذلك علم العروض ومعجم العين وهذه البراعة تدفعه إلى تناول مسائل النحو من خلال إحصاء لوجوه النصب ووجوه الرفع ووجوه الجر ... الخ . وبجانب ذلك فوجه الشبه بين هذا الكتاب وكتاب مقدمة فى النحو المنسوب أيضا لخلف أحمر (ت ١٨٠) غير خفية . وليس هناك مايمنع من أن (خَلَفاً) أراد أن يحذو حذو شيخ النحويين .

٢ ـــ اتفاق جل الآراء الواردة فيه مع ماجاء فى كتاب العين ، ومع مانسبه سيبويه ومن بعده للخليل ، وهذا الاتفاق بين لاتكلف فيه .

٣ ـــ الصلة القوية بين عنوانات الكتاب وعنوانات كتاب سيبويه ، وهذه تشهد بتقدم كتاب الجمل فهو ليس من مصنفات القرن الرابع .

٤ ـــ المصطلحات الواردة فيه تمثل مرحلة مبكرة من مراحل نمو المصطلح

النحوى وبعضها يعد أصولا للمصطلحات البصرية والكوفية ، كما أن تخصيص كل جزئية بمصطلح يناسب المرحلة المبكرة التى سبقت استقرار المصطلحات المشتملة على صور كلية . وهى بذلك لاتناسب التصنيف فى أواخر القرن الثالث ومطالع الرابع أعنى عصر ابن شقير .

٥ — مناقشة الفراء (ت ٢٠٧) لآراء بعض النحويين مع وجود هذه الآراء فى كتاب الجمل ، ولم نرها فى غيرها كالصرف من النصب إلى الرفع ، تعد قرينة لما نحن بصدده .

٦ — التقارب بين ماأورده أبو عبيدة فى مجاز القرآن وماجاء فى كتاب الجمل فى بعض المواضع يشعر بأن أبا عبيدة قد أفاد من فكر الخليل وعلمه الوارد فى كتاب الجمل .

٧ — معالجة المصنف للشواهد القرآنية ليست ببعيدة عن معالجة سيبويه لما اتفقا فيه من آيات .

٨ — سعة علم المصنف بالقراءات وتوجيهها ، واتفاق الكثير منها مع قراءة أبى عمرو بن العلاء شيخ قراء البصرة . وقد سلك ابن الجزرى الخليل بن أحمد فى طبقات القراء . وكثيرا ماسأله سيبويه عن توجيه القراءات .

٩ — معالجة الشواهد الشعرية وتتابع الشواهد بالطريقة الواردة بها فى كتاب سيبويه يجعلنا نؤمن بأن ظلال كتاب الجمل هذا كانت محيطة بسيبويه فقد جمع عن أشياخه الكثير ، وأكثر ماجمع كان عن الخليل بن أحمد .

١٠ — إيراد أمثلة وعبارات موجودة بعينها فى كتاب سيبويه تشير مع ماسبق — إلى أن سيبويه قد أفاد من النبع الثر الذى عب منه عبا وهو الخليل بن أحمد وظهر ذلك فى العنوانات والأمثلة والعبارات .

وبعد : فإنى آمل أكون بهذا اللون من الدرس قد أضفت جديدا وأن أكون قد كشفت عن تأصيل بعض المصطلحات فى مراحلها الأولى التى تفرع عنها المصطلح البصرى والمصطلح الكوفى على السواء . وأن أكون قد جلوت رؤية فى نسبة هذا الكتاب لشيخ النحويين الخليل بن أحمد بهذا الاجتهاد فى الرأى .

المراجـع

ـ اتحاف فضلاء البشر . لأحمد بن محمد البنا تحقيق د . شعبان محمد اسماعيل . عالم الكتاب بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٨٧ .

ـ أخبار النحويين البصريين . للسيرافى . تحقيق د . محمد إبراهيم البنا . دار الاعتصام .

ـ الأزهية فى علم الحروف . لعلى بن محمد الهروى . تحقيق عبد المعين الملوحى . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٢ .

ـ الأشباه والنظائر النحوية للسيوطى . تحقيق طه عبد الرءوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية .

ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن لأبى عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه . منشورات دار الحكمة ـ حلبونى ـ دمشق .

ـ إعراب القرآن . لأبى جعفر النحاس . تحقيق د . زهير غازى زاهد . عالم الكتب مكتبة النهضة العربية . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ .

ـ الاقتراح فى أصول النحو . للسيوطى . دار المعارف لصاحبها أبو الحسنات . حلب ـ سوريا .

ـ إملاء مامن به الرحمن . لأبى البقاء العكبرى . تحقيق إبراهيم عطوة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ ـ الحلبى بمصر .

ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف لكمال الدين أبى البركات عبد الرحمن الأنبارى . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٥ مطبعة السعادة .

ـ البحر المحيط . لأبى حيان . دار الفكر . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ .

ـ بغية الوعاة . للسيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١٩٦٤ .

ـ التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس . تحقيق كوركيس عواد مطبعة العانى بغداد سنة ١٩٦٥ .

ـ تفسير الطبرى . لأبى جعفر بن جرير الطبرى . تحقيق محمد شاكر وأحمد شاكر . دار المعارف بمصر .
ـ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب لأبى منصور الثعالبى . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف سنة ١٩٨٥ .
ـ الجمل فى النحو . للخليل بن أحمد . تحقيق د . فخر الدين قباوة سنة ١٩٨٥ مؤسسة الرسالة بيروت .
ـ الجمل للزجاجى . تحقيق د . على توفيق حمد . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ .
ـ ديوان الأدب . للفارابى . تحقيق د . أحمد مختار عمر . مجمع اللغة العربية ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩ .
ـ السبعة فى القراءات . لابن مجاهد . تحقيق د . شوقى ضيف دار المعارف سنة ١٩٧٢
ـ شرح أبيات سيبويه . للسيرافى . تحقيق د . محمد على الريح هاشم . دار الفكر ومكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٤ .
ـ شرح أبيات سيبويه . لأبى جعفر النحاس . تحقيق . د . زهير غازى زاهد بغداد سنة ١٩٧٤ .
ـ شرح المفصل . لابن يعيش . عالم الكتب ـ بيروت .
ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . لأبى بكر محمد القاسم الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٦٣ ..
ـ العين . للخليل بن أحمد الفراهيدى ج ١ تحقيق د . عبد الله درويش مطبعة العانى بغداد سنة ١٩٦٧ و ج ٢ ، ج ٤ ، ج ٥ ، ج٦ ، تحقيق د . مهدى المخزومى و د . إبراهيم السامرائى .
ـ غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى عنى بنشره ج برجشتراسر الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ .
ـ فقه اللغة وسر العربية . لأبى منصور الثعالبى . مكتبة الحياة ـ بيروت .
ـ الفهرست لابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد . طهران .
ـ القاموس المحيط . للفيروز بادى . المكتبة التجارية بمصر .

- القرآن الكريم .
- كتاب سيبويه . تحقيق عبد السلام هارون ١٩٦٦ — ١٩٧٧
- اللمع لابن جنى . تحقيق د . حسين شرف . عالم الكتب سنة ١٩٧٩
- مجاز القرآن . لأبى عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق د . فؤاد سزكين . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ الخانجى بمصر .
- مجالس ثعلب . تحقيق عبدالسلام هارون . الطبعة الثالثة . دار المعارف ١٩٦٩ — ١٩٧٦ .
- مجالس العلماء . للزجاجى . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ .
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات . لابن جنى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٦ — ١٣٨٩ ..
- المحرر الوجيز . لابن عطية تحقيق أحمد صادق الملاح . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- مختصر الشواذ فى القرآن . لابن خالويه . عنى بنشره ج . برجشتراسر . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ .
- مختصر فى ذكر الألفات . لأبى بكر الأنبارى . تحقيق د . حسن الشاذلى فرهود . دار التراث بالقاهرة سنة ١٩٨٠ .
- مراتب النحويين . لأبى الطيب اللغوى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر سنة ١٩٧٤ .
- معانى الحروف للرمانى . تحقيق د . عبد الفتاح شلبى دار النهضة سنة ١٩٧٣
- معانى القران . للفراء . تحقيق محمد على النجار وآخرين ١٩٥٥ — ١٩٧٢
- معجم المصطلحات فى النحو والصرف والعروض والقافية . د . محمد إبراهيم عبادة . دار المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٤ .
- مغنى اللبيب . لابن هشام . تحقيق محيى الدين عبد الحميد . مكتبة محمد على صبيح بميدان الأزهر .

ـــ مفاتيح العلوم . للخوارزمى . تحقيق ابراهيم الأبيارى . دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ .
ـــ المقتضب . للمبرد . تحقيق عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
ـــ مقدمة فى النحو . لخلف الأحمر . تحقيق عزالدين التنوخى دمشق سنة ١٩٦١
ـــ نتائج الفكر . للسهيلى . تحقيق د . محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام .
ـــ نزهة الألباء لأبى البركات بن الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
ـــ النشر فى القراءات العشر . لابن الجزرى . أشرف على تصحيحه ومراجعته على محمد الضباع . المكتبة التجارية .
ـــ همع الهوامع . للسيوطى . عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى . دار المعرفة بيروت لبنان .
ـــ الواضح فى علم العربية . لأبى بكر الزبيدى تحقيق د . أمين على السيد . دار المعارف سنة ١٩٧٥ .

الفهـرس

مقدمة ٧ ـــ ٩

الفصل الأول : نظرة عامة فى كتاب الجمل : ١١ ـــ ٣٢

ـــ مادة الكتاب : ١٣ ـــ ماتضمنه من مسائل نحوية وصرفية ١٤

ـــ الشواهد والتعريفات : ١٥ ـــ بيان معانى بعض المفردات وإعراب بعض الجمل : ١٦ ـــ العلل النحوية : ١٧ ـــ الأعلام ومافى حكمها ٢٠

ـــ الترابط بين محتويات الكتاب ٢٤ ـــ الألغاز ٢٨

ـــ بعض المسلمات ٣١

الفصل الثانى : آراء الخليل : ٣٣ ـــ ٦٢

ـــ آراء الخليل الواردة فى كتاب العين وصداها فى كتاب الجمل ٣٣

ـــ آراء الخليل المنسوبه إليه فى كتاب سيبويه ومن بعده ٣٨

ـــ الآراء الواردة فى كتاب الجمل ولم تنسب للخليل فى كتب النحو ٥٤

الفصل الثالث : العنوانات والمصطلحات : ٦٣ ـــ ١٠٠

ـــ العنوانات فى كتاب الجمل وكتاب سيبويه : ٦٥

ـــ المصطلحات فى كتاب الجمل وكتاب سيبويه ومن بعده : ٧١

الفصل الرابع : الشواهد والأمثلة ١٠١ ـــ ١٥٠

ـــ الاستشهاد بالقرآن الكريم ١٠٣

المنهج بما فى الاستشهاد بالقرآن الكريم ١٠٣

الاستشهاد بالقرآن فى كتاب الجمل وكتاب سيبويه ١٠٨

الاستشهاد بالقرآن فى كتاب الجمل ومعانى القرآن للفراء ١١٣

الاستشهاد بالقرآن فى كتاب الجمل ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١١٦
ـ الاستشهاد بالحديث ١٢٣
ـ الاستشهاد بالشعر فى كتاب الجمل وكتاب سيبويه ١٢٤
ـ الأمثلة والعبارات فى كتاب الجمل وكتاب سيبويه ١٤٥

الحصاد ١٥١
المراجع ١٥٣
فهرس الموضوعات ١٥٧

رقم الايداع ٣٢٠٨ /٨٨
الترقيم الدولى ١ ــ ٤١١ ــ ١٠٧ ــ ٩٧٧

مركـز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا ـ اسبورتنج
تليفون ٥٩٥١٩٢٣